نيرامة
ملاك الشمس
لازورد النور

علاء بديع الجمال

نيرامة
ملاك الشمس
لازورد النور

رواية

♦ اسم الكتاب: **نيرامة ملاك الشمس لازورد النور.**

- اسم المؤلف: **علاء بديع الجمال.**
- الترقيم الدولي: ISBN: 978-9933-567-37-8
- الناشر: دار عقل للنشر والدراسات والترجمة.
- سنة الطباعة: 2019.

طبعة مشتركة الحقوق بين المؤلف والناشر

يطلب الكتاب على العنوان التالي:

دار عقل للنشر والدراسات والترجمة

سوريا – دمشق – جرمانا – ص. ب: 249 جرمانا

هاتف: 00963 11 5618956

خلوي: 00963 932 832010

aklpublishing@gmail.com

الإهداء

إلى والديَّ العزيزين

إلى نيرامة زهرة الشمس

إلى كل نفس عاشقة للجمال

المأساة:

هي محاكاة الأفعال النبيلة الكاملة، لها طول معلوم، وتُؤدَّى بلغة ذات ألوان من الزينة، لغة الشعر، أو لغة قريبة من الشعر، تختلف باختلاف أجزاء المأساة وتتم هذه المحاكاة بوساطة أشخاص يمثلونها، وليس بوساطة الحكاية، وهي تثير في نفوس المتفرجين الرعب والرأفة، وبهذا تؤدي إلى التطهير، أي تطهير النفوس من عوالق الضعف والضياع.

أرسطوطاليس

بدء السطور

ما يُغلِب على حياتنا الخوفَ والشعور بالضياع والانزواء والهروب من فكرة المواجهة، هي الأيام بما تخفيه في حبائل صمتها فلا أحد يأمنها، كلّ يبذل جهده في تحصين نفسه بحصن منيع إمّا بالمال أو بالصبر أو الحكمة، ومع ذلك تبقى الدنيا هي خير للآخرة وميعادها.

لا أحد يبقى على حاله فيها، مهما تحصن، ومهما بذلنا من جهود لدفع خطر مجهول، نبقى متأخّرين، ويحذّرنا الزمان منه لكنّنا لا نعرف متى يكون هذا التحذير، أو نقدر على سماعه. إنّ الطبيعة تحذر ونحن من يجهل ذلك، فنقع فريسة الخطر الداهم القادم من خفايا الأيام والدنيا،

فإن وجدنا الهناءة في حال وصلنا إليها، وصورة صرنا عليها، تبقى قليلة، وليس كما نريد،

هناك الكثيرون يطلبون رتبة أو منزلة في هذا المجتمع، فلا يستطيعون نيلها، وإن نالوها خافوا أن يفقدوها، وإن آمنوا فقدها تيقنوا من تركها بعد موتهم، فيبقى الخوف مُحْدِقاً في جميع الأحوال،

هذه صورة الدنيا دائماً في تغيّر، أمّا صورة الآخرة فثابتة دون تغيير فيها، فيبقى جدير بنا أن نجدّ في بناء شيء نتركه لغيرنا في هذه الحياة، كتاباً كان أو رواية أو قصة أو شعراً أو مخطوطات في علوم الحياة المختلفة، نبقى نحن بحاجة إلى الوجود، بحاجة إلى التقويم، بحاجة إلى الفكر إلى الينبوع في كل شيء، حتى نأمن ما خُفِيَ علينا، ونصنع ما خُفِيَ عن فكر غيرنا من الناس ومن أعقبنا، ومن سلفنا منهم.

نمط الرواية

بدأت بمسرحيتي نيرامة فقمت بتحويلها إلى رواية قصيرة، ونمط جديد من أنماط الروايات المتعددة وهو النمط الفلسفي. يعتمد هذا النمط على الفكرة والحقيقة والرواية المتخيلة عن طريق صدق البصيرة، والانفتاح، كما اعتمدت في روايتي هذه على جعل الحوار جميلاً، سلساً ناعماً مثيراً لنفس القارئ، محركاً ولو بالشيء القليل أشياءً أو أحلاماً تائهة في داخله إلى الظهور من جديد.

التعريف بالرّاوي
وحفيدته نيرامة

الرّاوي هو الجد رجل طاعن في السن، حكيم عالم بأحوال الدنيا، يروي حكايته المحزنة لنيرامة، الطفلة الحكيمة رغم صغر سنها، تملك نفساً غنيةً وعقلاً راجحاً ما يميزها عن أية فتاة أخرى في مثل سنها أو أكبر منها فهي تسبق أهل زمانها في كل شيء،

نيرامة تحب جدها كثيراً، تستمتع بأحاديثه النفيسة، تحب رؤيته للحياة، تتعلم منه كل شيء جميل، كل أمر غامض يغيب العقل في بحر جوابه عنه،

تعيش نيرامة مع جدها مذ كانت طفلة صغيرة حتى بلغت الثامنة عشرة من عمرها،

عندما رأى الجد الحكيم نيرامة على هذه الصورة الحكيمة، وقدرتها على تحمّل كل ما تسمع سواء أكان خيراً أم شراً، قرّر في قرارة نفسه أن يروي لها حكاية طويلة، آملاً أن تحتمل نيرامة ما ستسمعه منه.

نيرامة

ملاك الشمس

لازورد النور

(1)

عند المساء، حين تكحّلت ساعات الغروب عين الشمس الغائبة في أفق المغيب، يجلس في وحدته معتزلاً الناس، متأملاً أوراق الزعرور المتساقطة على الأرض، متأملاً تلك الأزهار المختنقة بعتمة الأيام،

صوتٌ يصرخ من بين أشجار الزعرور

جدي، جدي، أين أنت؟

يشخص الجد ببصره إلى نيرامة القادمة من بعيد، ثم يبارك في نفسه تلك الخلقة الحسنة التي تقترب منه، فيجيب بصوت خافت متعب:

– أنا هنا يا بنيتي، اقتربي كي أراكِ.

تقترب نيرامة من جدها فتأخذها الدهشة لحاله، فهو دائم الانشغال بنفسه، بطيء الحركة، شديد التعب،

– جدي، دائماً أنت في وحدتك؟

يضحك الجد، والمرارة تلقي بعينيه في حيرة طويلة،

– وهل لي أنيس غير وحدتي، يا نيرامة.

أجد فيها من أهوى، ومن أحب.

تلقي نيرامة يديها على رأس جدها مقبّلة إياه،

– كيف حال عينيك يا جدي؟

يتلفظ الجد (والحسرة تملأ عينيه)

– آه يا طفلتي قد شاختا، وليس للإنسان من الكبر هروب.

ورغم أنّي قد شخت، فما لي من مرادي شيء.

تجلس نيرامة على أعشاب قصيرة، ملقية برأسها على كتف جدها، واضعة يديها في يده، والقلق يجعل صوتها في ارتباك دونما صفوة فيه.

– أراك تكثر التأمل يا جدي، صمتك طويل،

يقلقني ذلك فقل لي.

يبتسم الجد، ويده الهرمة على رأس نيرامة الصغيرة، مشعراً إيّاها بحنان عارم، صنعته قسوة الناس، وضيق الأيام، وجور الزمان، بلا رحمة أو شفقة.

– أقول لك انظري إليّ، ألا تجدينني في صورة غريبة،

أراك يا طفلتي أنت نفسك فانظري،

عصفورة برية تسجيني بألوان سحرها،

قمرية وديعة في منامي،

يرفع رأسه إلى الشمس مشيراً بيده إليها،

– انظري إلى الشمس تريْنَ فيها وهجاً يهيم القلب فيه، وينتهي الجسد إليه، يعانق التراب، فيصبح مثل الكحل يطوف في غدق السماء، ينزل بماء نقي، ندية عيناه، تنذران شموعاً بيضاء، بدءاً بحياة جديدة.

يضمّ نيرامة بكلتا يديه، رياحٌ خفيفة هادئة تحرّك لحيته ذات الشعر الأبيض المتجعد وكأنّها سحب خريفية تهمّ بالرحيل دون وداع.

– آهٍ يا طفلتي سأروي لك حكاية، تعالي واخلدي في بحر ما سأرويه لك.

تنهض نيرامة عن الأرض، وتستلقي على العشب الأخضر، متأملة غسق الغروب، بردائها الأحمر الطويل،

تفتح يديها محتضنة السماء، وكأنّها جنانٌ عالية، وقد فتحت أبوابها استقبالاً لها.

ما أعذبَ حديثك يا جدّي، رغم غرابته، تطيب له الأسماع، وتهدأ به الصدور،

نظراتها إلى السماء، عيناها مقدستان، ماؤهما عطر، ينزل ملامساً وجنتيها الصغيرتين،

ترفع يدها محاولة، إخفاء تلك الأعمدة الفسيفسائية التي تراها في أقاصي السماء وألوانها الخزفية التي تجلل أواسطها،

– جدي تُرى هل السماء محمولة على هذه الأعمدة البيضاء التي أراها؟

يرمق الجد نيرامة بنظرة حنان غامرة،

– هذا بيتنا الذي ترين يا نيرامة، عندما نغيب،
نخرج إليه، وإن أردناه فحيث ما استرحنا نجده
تنظر نيرامة إلى جدها، وكأنّها لم تره منذ سنوات
أروم محبة لما أسمع، أجد ذاتي فيما تقول،
فارو لي يا جدي، فلي عندك أجوبة لأسئلة كثيرة، تراود عقلي، وتجول في نفسي، ترميني في حيرة لا أقدر على الخروج منها أو الانشغال عنها.
وتعود نيرامة بنظرها إلى أوراق الزعرور المتساقطة،
هناك في أوراق الزعرور المتساقطة، أرى عروقاً وبحوراً قد التفّت على بعضها وكأنّها أعمدةُ النور التي رأيتها في السماء.
فالسماء أرض، وهذه أرض، ونحن أرض فأين الإنسان؟
ينظر الجد إلى أوراق الزعرور المتساقطة،
ينزل يده الهرمة إلى الأرض حيث الأوراق المخملية
يلتقط واحدة منها، ويحدّق بها كثيراً، تهب رياح موسمية خريفية هادئة، تلامس شعر نيرامة الذهبي المنسدل على ردائها الأحمر، فتحركهُ كأوتار الموسيقى،
تجلس نيرامة، تعود إلى أحضان جدها، مرتمية بين يديه
أحبك يا جدي
يحضن الجد نيرامة بين يديه، يقبّل رأسها،
نيرامة حبيبتي أنت أعذب من ألحان الناي يا بنيتي،
هدئي نفسك، فليس من حيرة تبلغ حيرة العباد،
بمَ يقومون؟
ولِمَ يفعلون؟
إلى أين هم سائرون؟
من نحن؟

من نكون؟

فيمَ وجودنا؟

لمن منصرفون؟

– الرياح بدأت تشتد في ساعات المساء

كأنّني لا أعرفك يا جدي،

فلندخل إلى المنزل، الرياح تشتد، الظلام بدأ يلف أجسادنا كالوشاح

الجد ونيرامة يتركان المكان،

فلم يبقَ فيه شيء سوى الذكرى، وعطر الحديث.

(السكينة تعمّ البيت)

تنظر نيرامة إلى النافذة، إلى عتمة الليل، حيث أغصان الشجر المتشابكة بغرابة، حيث كانا يجلسان وتساءلت:

تُرى أما زالت أوراق الزعرور المتساقطة على الأرض؟ أم بعثرتها الرياح؟ أم أخذتها في سفر طويل؟ أم نقلتها إلى مواضع الحرية؟

جذوع الشجر تتكلم!؟

حديث الأوراق يطول،

سكينة القدر من جديد.

ألقت نيرامة في حيرة يديها على النافذة، وجعلت رأسها ملامساً لزجاجها القديم

أشعر أنّي بحاجة إلى شيء لا أقدر على معرفته، شيء يرغمني على الشرود، يرغمني على التغيب في عالم الخيال، لكن ما هو؟

لا شيء،

إنّه الوهم،

(يقترب الجد مقاطعاً سكينة نيرامة)

ما الذي يؤرق مخيلتك الصغيرة يا نيرامة؟

– شيء غريب يا جدّي مثل الوهم لا أعرف ما هو.

يضحك الجدّ ضحكة خافتة، محدقاً في شيء ما على الأرض تائهاً بأفكاره

– فهمت

هناك ما أريد أن أسمعك إياه

تعالي يا نيرامة لنجلس، ونستريح من عناء كلّ ذلك،

حينئذٍ سوف تسمعين حكايتي التي قلت،

ستعرفين منها حقيقة تهمّك

حقيقة الخير والنّعمة،

حقيقة الشرّ والنّعمة،

واعلمي أن غوائل الأيام ونوائبها ومصائبها كثيرة فلا أحد يَقدر على عدها أو تجزئتها.

(يتسلل الشوق إلى قلب نيرامة، فيغلب على وجهها ذلك)

قُصّ عليّ حكايتك يا جدّي،

فلم يعد الصبر يُحملني على الانتظار.

نيرامة
ملاك الشمس
لازورد النور

(2)

منزل ريفي قديم في أطراف قرية نائية، قد جارت عليها الأيّام، وبدّل من حالها الزمان إلى قرية هُجرَ العديد من منازلها فباتت أشباحاً متجمّدة في أرض قفراء،

الفقر،

قلّة العمل،

قلّة المال،

قلّة الماء والمطر،

أُرغِمَ أُناسها على الرحيل دون بقاء أو رجوع.

لقد أحرق نضوب الماء هذه الأرض، فباتت مُقفرة يابسة كأنما ليس فيها من حياة ترقد إلى جانب النافذة شجرة ياسمين بريّة، عطرة الرائحة، تغمر أرجاء المنزل القديم عند تفتح زهرها بالإشراق.

الشمس يسطو وهج شعاعها على أروان،

شاب في الخامسة والعشرين من عمره غارق في المعرفة بالحقائق والعلوم، حديثه حكمة، إنجازه فيما أصاب الحق والخير، ذو خلقة حسنة، طويل، مجيدٌ لرياضة نفسه، حُسن قوله، وحدّة ذكائه جعلاه قادراً على الإقناع.

يجلس في وحدته شارد الذهن على كرسي خشبي، ملقياً يديه أمامه على طاولة خشبية مهترئة الأوصال، محاولاً جعل جسده يشعر بدفء الشمس الساقطة عليه من خلال النافذة.

يُطرق باب المنزل،

(صوت يصيح في الخارج)

هل من أحد هنا؟

يصحو أروان من شروده، الباب مفتوح.

– ثابت، أهلاً بك، أوصد الباب خلفك.

يدخل ثابت المنزل، يُغلق الباب، يرى أروان على هذه الصورة، الشحوب والانهدام

باديان عليه، ينتابه القلق لما يرى

(يجلس إلى جانب أروان)

ماذا بك؟

لا شيء.

يُطيل أروان النظر إلى تلك الجرة المكسورة على الطاولة

يرأف ثابت لحاله، فيحادثه محاولاً أن يخفف عنه بنبرة متفقدة،

لِمَ أنت حزين؟

لِمَ أنا حزين، وتقولها هكذا؟

لا شيء عادل، الكل يريد قتلك

الكل يريد إذلالك

– إذلالي، ولِمَ؟

ثم ما عساي أفعل فهذه هي الحال.

يرفع أروان نظره إلى ثابت، فيجيبه بصوت مرتجف:

لا كلام يقال،

لا صوت يسمع،

فيكمل الخير طريقه إليّ،

سنوات تمضي،

أيامٌ تمرّ،

الزمان لا يتوقف

أَنظرُ إلى السواد.

يضرب ثابت بيديه على الطاولة بقوّة، السواد، السواد،

يخطو بصمت إلى النافذة حيث يتوضع بالقرب منها سلم يتدلى عليه وشاح أسود طويل، يمسك الوشاح بيده، كلمات الغضب تنسجها صرامة عينيه

– السواد، السواد، دائماً تقول السواد،
هل ستبقى هكذا (يشير بعينيه إلى الوشاح)
– انظر إلى نفسك
الناس في الخارج يفرحون ويرقصون،
وأنت في عزلتك معتكفاً.
ماذا ستجني من ذلك؟ أخبرني!!
أحس أروان الجواب من نفسه في حين تأمل عنق الجرة المكسور فأبصر حقيقة أوفدت الحزن إلى قلبه،
هم يرقصون لكنّهم لا يعرفون
يفرحون لكنهم لا يعلمون.
يضع ثابت يديه على درجة من درجات السلم،
قابضاً يده على الوشاح
يعرفون ماذا؟
يعلمون ماذا؟
(يقرّب أروان الجرة إليه، يتلمس عنقها المكسور)
– يعرفون أنّهم ليسوا مثلي، وأنا أعرف أنّي لست مثلهم، لذلك يرقصون،
هم ليسوا بغرباء، لذلك تجدهم يفرحون.
ربّما فقرهم، يجبرهم على ذلك،
يُرجع أروان الجرة إلى مكانها حيث كانت موضوعة على الطاولة، كذلك ثابت يعيد الوشاح إلى السلم، راغباً الحرية في نفسه متألماً، لا فقير بينهم سوى أنت يا أروان.
يسير أروان إلى النافذة ملحقاً نظراته بأرجاء المنزل
حتى تصبح شمس الشروق في عينيه
مرّ زمنٌ طويل،

الفقر يدمي جسدي،
فكل عمل وجدته لم أطل البقاء فيه،
تلك الساحات – ينظر إلى ثابت بعينين شاحبتين،
الكل يرمقني بنظرات غريبة
ترى هل يرثون لحالي؟ أم...
يُلقي ثابت يديه على كتفي أروان، يهزهما،
أم ماذا؟
يعود ثابت فيجلس عند الطاولة، محدقاً في عنق الجرة المكسور،
ثم أين تلك الساحات التي ذكرت؟
أروان (مشيراً بيده إلى السماء)
هناك في البعيد الناس مختلفون،
يعيشون لكنهم لا يجوعون،
يعيشون في السماء يعيشون في الأرض،
محبّين للصدق، غائبين عن الناس.
(يتكئ أروان رأسه على درجة من درجات السلم الخشبي، ينظر إلى الوشاح، يمسكه بيديه)
وهنا الناس مختلفون،
منهم من يدّعي،
ومنهم من يفعل،
أحاديثهم جميلة، رغم ذلك فهي مخيفة.
يترك الوشاح بعد أن يمسح به وجهه ليعود إلى النافذة، إلى الإبحار في عالم مجهول لا يعرف نهايته إلاّ الإله.
– الخوف،

ما المجهول تُرى؟

أين نحن؟

خيوط العنكبوت في تلك الزاوية،

لا بل هنا وهناك،

(يقاطعه ثابت) هي أنيس وحدتك يا أروان.

(يتأمل أروان الخيوط، ينظر إلى الأرض نظرة غاضبة يصرخ)

– تبقى خيراً من جاهلين مدّعين، يفسدون عيشي بلقائهم.

ما رأيك في شرب شيء من الشاي؟

(يهز أروان رأسه بعد أن حدّ من غضبه وبدأت نفسه تستريح)

بالطبع قليلاً وأرجع إليك.

(يأتي أروان بكوبين من الشاي، يجلس أمام ثابت يداه ترتجفان) /تفضّل/

يشربان الشاي، وكل منهما يحمل في نفسه آمالاً، ويحلمان في أن تستيقظ يوماً وتصبح حقيقة يعيشان فيها.

(يقطع ثابت سكينة الحديث، سائلاً أروان)

– هل ستقول: إنّ الزمان بدأ يُكشف عن نفسه، ويُخبر عن سوءِ مغيبه؟

(يشرب أروان الشاي، يغيب ذهنه قليلاً، يفتح عينيه ببطء)

ليس لي ذنب فيما يجري حولي،

الكلّ يقتل دون حساب،

الكلّ يهرب لا مواجهة،

وأحزن لأنّي بتّ منهم،

الذين يتكلّمون كثيراً لكنّهم عاجزون عن فعل أي شيء.

(يحرك أروان يده اليمنى بغضب، مشيراً بإصبعه إلى النافذة، إلى الساحات، إلى الحياة)

يدّعون الطيبة والرأفة والرحمة،
ولا شيء من ذلك لهم.
(يجيب ثابت والخوف قد حاق بقلبه)
– إنّها علّة الواقع الخارجي المضطرب،
أقنعةٌ يرتدونها حتى يتربّعوا على كرسيّ العظمة.
(يشرب أروان قليلاً من الماء، ينظر إلى الباب، ويديم النظر وكأن أحداً قد أوفد مصيره إليه، قلبه يرتعش، شعور لم يعتده من قبل، هناك أحدٌ قادم)
(ثابت يثيره ذلك)
ما بك؟
لم تنظر إلى الباب هكذا؟
(أروان صامت السكينة نحيي قلبه)
فيمَ شرودك؟
هل تشعر بشيء؟
(يصطنع أروان ضحكة حزينة)
لا شيء، ثم يُتبع بقوله،
ومتى كانت العظمة بالخبث والرداءة والكذب؟
(خوف وحيرة يملآن المكان)
ثابت يقلقه توتره
هي لم تكن،
(يصرخ أروان بغضب، والمرارة تخنق أنفاسه)
بل هي هكذا، ...
كلهم هكذا، ...
حتى نحن هكذا ...

(يحادث ثابت نفسه في وهلة شرود طال أمرها)

– يا إلهي،

إلى متى ستبقى الناس في البغضاء والعداوة،

هذا يزرع الحقد،

وذاك يزرع الشرّ،

وغيره يورث الضغائن،

يتوجب علينا الشكر في الليل والنهار،

إنّ مواهبه كثيرة،

الحاسة ملك لنا،

الطبيعة قد أعدّت ما نحتاج إليه في دنيانا وآخرتنا، فماذا بعد؟

دائماً نرغب فيما ليس لنا حاجة به،

لا نأخذ بما يُصلح أمرنا،

إلى متى؟

دائماً نكدّ، دائماً نجتمع حتى نزرع الشرّ،

حتى نلقي الشرّ، في نفوس نزيهة بريئة،

هل هذه حياتنا؟

(يشعر أروان بأنّه لا ذنب لثابت في غضبه)

– اعذرني يا أخي،

فإنّي مرهق، نفسي متعبة من جراء ما أحمل،

شقاء الدنيا،

فإن خرج صوتي عن مرادي، فذلك لحيرتي وخوفي،

فاعذرني يا أخي.

(الأسى والحزن يُغرقان نفس أروان

لانفعاله بوجه ثابت، فقد أطاع غضبه، فوقع أسيراً للذّنب).

(نظر ثابت في عيني أروان فرأى فيهما صفاء الديمومة، ولمس عنده صدق القول، وطهارة المنطق، ونقاء النية فأمسك بيديه، وشدّ عليهما بقوة).

– لا تحزن فلك ما يكفيك من الغنى

فإن لم يكن مالاً، فهو قناعة تكفيك.

(يسير ثابت باتجاه النافذة حتى يبلغها،

يتحسّسها بيديه،

عيناه ترقبان انقضاء الشمس في أقاصي السماء،

يتنهد بعمق.

أنفاسه تخرج من أنفه بهدوء، ملقية بحبائل غضبه،

خلف أسوار الصمت،

ثم ينظر إلى أروان الغارق في سكينته)

– لا تبق هكذا،

لا تحزن،

انظر إلى الحياة

(يشير ثابت بنظره إلى السماء)

لا مطر ينزل من هذه السماء دون أرض،

لا شجر يكبر دون أرض،

(يضع يديه على الطاولة)

لا لذة في الحياة دون أرض،

(يغمض عينيه)

لا نجاح دون أرض، ...

(يشير بإصبعه إلى أروان بحزم)

– وأنت مثل هذه الأرض،
إن لم يصبها صيب من المصائب
لن تنبت نبت النجاح.
أنفاس أروان تتسارع، يشعر بذلك،
هناك أحد في الباب،
لم يعتد ذلك من قبل،
شيء غامض
في الخارج زقاق متعرج، لحظات يهيم الصمت فيها
جدران المنازل المتكسرة،
(صوت متعب أجش يصيح في وسط الزقاق)
– ليأوِني أحدكم وأجره على الله
ليأوِني أحدكم وأجره على الله
– إنّه صوت امرأة،
– امرأة فقيرة، في الثلاثين من عمرها فاتنة الوجه، حسنها في خلقها، أغلبتها الأيام، وأشقاها الفقر، وبؤس الحال، تدعى مريام.
يسمع آروان الصوت،
يرفع رأسه بعد سكينة، أوفدت قلبه وعقله إلى الموت،
إنّه صوت امرأة
أجل إنّه صوت امرأة.
– ليأوِني أحدكم وأجره على الله
ليأوِني أحدكم وأجره على الله.
يسرع آروان إلى الباب
الخوف والارتجاف قد تملكا قلبه

الصوت قريب،

طرقات متقطعة

يداه ترتجفان.

ينظر ثابت إليه محاولاً تثبيت عزيمته

ما بك يا آروان؟

افتح الباب

ألا تسمع الطرقات؟

يجيب آروان بصوت منخفض

– بلى أسمعها،

الباب موصد

آروان يحادث نفسه:

أساقتك الأقدار إلى هنا؟

يا ترى ما حكمتك أيها الزمان؟

يتقدم آروان، ويفتح الباب، بيديه المرتجفتين، عيناه حائرتان، تريان هذه المرأة الفقيرة، وقد يئست مما هي فيه، ورغبت في معاودة الرحيل.

– تفضلي يا سيدتي بالدخول.

تنظر إليه مريام بعمق، الذهول في عينيها

وقد اضطربت أنفاسها

يدعوها آروان مجدداً للدخول

– تفضلي يا سيدتي.

(مريام ساكنة، مترددة في أمرها)

يحاول آروان تهدئة نفسها

– ادخلي لا تخافي،

وإن كان البيت على حال غير جيدة،
فهو منزل متواضع مكرّمٌ لمن يكرمه،
وقد بلغ بك القدر أن تصيري إليه،
– تفضلي بالدخول
(تدخل مريام، بعد أن هدأت نفسها وزال ترددها،
تنظر إلى البيت، متأملة جدرانه المهترئة،
زواياه المتكسرة، أعشاش العنكبوت، خيوطها الرمادية في انثناءات الخشب،
رسمت في عينيها قصراً ماسياً متعرق الوجوه.
يعرف ثابت عن نفسه مقاطعاً شرودها وتأملها
– بيتك يا سيدتي، أهلاً بك
أنا أدعى ثابت، وهذا صديقي آروان (مشيراً إليه بيده)
تنظر مريام إليهما دون خوف، فقد زرع كلامهما الطمأنينة في نفسها
– بارك الله فيكما وأحياني بما أحياكما به،
(لكن التعب نال منهما، فغابت نفسها قليلاً حتى خرّ طول عنائها، وكادت أن تسقط أرضاً).
(يسرع إليها آروان
يحيطها بيديه، مساعداً إيّاها في الجلوس على الكرسي)
– سيدتي أرجوك.
(يأتي لها بالماء)
سيدتي هاك الماء اشربيه،
– (هنيئاً).
– يتألم ثابت في نفسه لما يراه من قسوة الحياة،
كيف جعلت من هذه الحسناء صورة حزينة بائسة يُرثى لحالها.

اصرفي عنك ما فاتك يا سيدتي،
وقللي همك على ما هو قادم إليك،
حتى تستريح نفسك،
ويصفو ذهنك.
ترفع مريام رأسها باتجاه النافذة، فقد شعرت بخيط دفء تسلل إلى قلبها/إنّه الظلام/
– يومان وأنا أسير،
أعياني التعب،
أشقاني الطريق،
هل لي عندكم مقام؟
يقترب أروان منها، قلبه يرتجف، عيناه تضحكان،
هذا بيتك،
فبيت الحكيم أينما سار وجده،
وحيثما استراح يكون.
تبتهج مريام لما تسمع من عذوبة الحديث،
وحسن الكلمة الطيبة،
وعيناها محدّقتان بأروان،
(تحادثه بلطف)
– إنّها أرض الحكمة،
ساحات لا يعرف جمال حسنها سوى المشتاقين إليها.
أشرق وجه أروان، قد شعر بشيء من الفرح
هذه الكلمات القصيرة قد أحيت نفسه،
وأضاءت فيها قنديلاً من النور، أسرت سكناها مريام.
– كيف صرت يا مريام؟

تجيب مريام، والأسى في مرتحل كلماتها يقطر مرارة.

– كيف صرتُ هكذا!

الجرة المكسورة

إنّها الأيام...

هذه هي بما تخفي، تأخذك في حين غفلة عن أمرك،

تبدؤها بكلمة صغيرة، حتى تغادرها بنظرة بؤس

مترقبة يائسة.

(الباب ما زال مفتوحاً)

يدخل والد أروان، رجل في (الأربعين من عمره)، مستاء من حال هو فيها، العبودية تخنقه بات أسيرها يحاول جاهداً الخروج منها، لكنّ الحياة تجبره على البقاء فيها.

يوصد الباب،

يسير حانياً رأسه

حتى يستريح على الكرسي،

يتناول كوب الماء

يشرب، يتنهّد بعمق

يعيد الكوب إلى الطاولة

عيناه حزينتان، غاضبتان

محملقتان في كوب الماء.

(الكل في صمت)

يرأف ثابت لحاله،

– ما بك يا سيدي؟

ما الذي يشغلك؟

حيرتك هذه إن بقيتَ فيها تقتلك.
يحيق الأب الكوب بيديه،
وكأنّه يحميه من برودة الأيام، وقسوة الفقر،
أشياء كثيرة يا بنيّ.
ما هي يا سيدي؟
هي أنّي دائماً منشغل، أطلب الكثير لأزيد القليل،
دائماً منشغل،
وإن زاد القليل لديّ، بات الكثير قليلاً،
هل هي أضحوكة؟
أم هي حقيقة أعيش فيها؟
ما هذه الدنيا،
هل خلقنا لنكون هكذا؟
لا رجاء لنا سوى الصبر.
يقف الأب، يقترب من السلم إلى جانب النافذة،
الوشاح الأسود،
هذه الدرجات الخشبية ،
انظر ماذا فعلت بها الأيام والسنين،
انظر إليها كيف أصبحت،
الشقوق تخز جوانبها المهترئة،
هو الخوف،
ما نستطيعه،
وما نقدّر عليه،
ثم الانتظار.

– انتظار ماذا يا سيدي؟
انتظار المجهول.
يتكئ رأسه على إحدى درجات السلم الخشبية،
مرسلاً نفسه في رؤية أمل بعيدة،
إلى تلك الساحات حيث يصبح الأمل يقظان،
والوجود حقيقة.
(يضحك أروان بأسى)
يقترب من والده، تاركاً مريام في شرود، وعزلة
(يسأل الله أن تخرج منها)
وتعود إلى حيث عهدت نفسها أن تكون
يضع يده على رأس أبيه
يقبله من كتفه.
لِمَ أنت غاضب يا أبي؟
لِمَ أنت حزين؟
الرداءة في كل مكان،
الكل يعرف ذلك
هذه النفوس هالكة فلن نهلك معها نحن
وإن كنا فقراء، نعرف لماذا نبقى،
ومن أجل أي شيء نعيش،
الفقر لا يدرك أحد له غنىً
الأمل لا يدرك أحد له نهاية،
والعمل ليس من أحد يدرك له فناء.
يضع أروان يده الأخرى على كتف أبيه،

مُطيلاً النظر في عينيه،
قلب أروان الدافئ بما يحمل من طيبة وحكمة ودراية وعلم،
قد جعل أباه في حالة هدوء، رغم كل ما يفكر فيه،
لأنّ الحكمة في النهاية محاقة كل شر، ومصدر كل سعادة
– أفرغ الغضب من عقلك يا أبي،
وأحلل الحقد من قلبك،
فلا شيء يستحق عناء ما تفكر به
انظر إلى الحياة بنفسٍ رحبة،
ترى التغيير قد بدأ في داخلك.
– تغيير!!
أرحتني بما تقوله يا بني
ربما لنفسي عليّ حق، أن تحيا فيما ترغب فيه،
وإنّما لن تعيش، إن لم يكن التغيير،
رُباً ربيعيّة،
أعيش فيها
أشرب من مائِها،
أجول بين ضفافها،
أُعنى بورودها
بعيداً عن العبودية.
(يقبل أروان رأس أبيه)
– تعال واسترح يا أبي،
لقد بتنا في منتصف الليل.
– أجل،

قد بتنا في منتصف الليل،
لم أعد أشعر بالأيام، إنّها تمضي بسرعة،
كأنّها ليلة واحدة
– هذه حقيقتها يا أبي،
كلّ منّا ذاهب في طريق
فلا أحد يأمن ما فيه
إلا من كان في تدبيره لنفسه حسن المذهب والمشورة،
ذا رأي حكيم،
غير متعجّب، وغير متسرّع،
يستقل القليل لنفسه،
ويبذل الكثير لغيره من الناس
فهؤلاء باتوا قلائل في هذه الدنيا
لذلك لا تجعل للحزن طريقاً إليك
يتبع ثابت حديث أروان، وقد رسمت وجنتاه ابتسامة قصيرة،
هدّئ من روعك يا سيدي،
واجعل المرح حديث قلبك،
صرنا مع الفجر،
النعاس يثقل عينيّ
فإن لم يوجب لنا شيء،
نوجبه نحن.
ثم استراحت نفسه للنوم.
يذكر الأب ما ينبغي عليه فعله حين دخوله إليهم،
فالغضب يُعمي البصيرة في أغلب الأوقات

اعذروني،
فلي منكم حق الصفح لأنّي لم أبادلكم التحية
سَيري تحت الممكن،
مطالبتي بالممتنع،
قلّة صبري،
الغضب،
ضعف هدايتي،
قلة سكينتي،
سطوتي،
غاب ذهني في غربة مجهولة
لا عاقبة لها سوى الذل.
تفتح مريام يديها الصغيرتين، فتأخذها رؤيتهما في رغبة
أودعت قلبها بين تلك الحقول الصفراء،
ذات السنابل الساكنة في شيخوخة اليبوسة،
الأرض المتشققة تحت نير السماء،
إنّها خطوط المسير،
رسومات القدر،
هذه زخرفة الأيام الماضية وصمتها الأبدي في ملئها الأعلى،
الطبيعة والتقديس، حديث البقاء،
ما يشغل فكر مريام، هذا ما أرادت قوله خلال السنين الماضية،
تنظر إلى والد أروان، الغارق في بحثه عن نفسه، سائلة إيّاه
كيف نعيش أحراراً أيها الأب؟
هل نعيش من أجل الحرص،

أو العبودية،
أم الحق
أيقظ العبد من عبوديته يكلّمكَ عن الحرية
وإن بقي فيها ابتعد عن الحق،
ورغب في كل أمر حقير،
فهو الحرص.
أجبر أروان نفسه على اختراق الحزن والكآبة،
وكسر الخوف الذي أضمرته نفوسهم، محاولاً بما أمكنه ذلك،
على أن يبعث غبطة الجميل في قلب مريام وأبيه، مُروجاً تفرح مقيميها،
بعد أن وصلت صرخاتهم إلى أعالي السماء،
مخبرةً عما يرونه ويعانونه ويبصرونه،
مخبرة عن رغباتهم في معرفة الصفحات البيضاء من الدنيا،
بعيداً عن شر منقلبها،
ومرارة طعمها،
وعلى أي حال، فإن هذه القلوب المثقلة بخلال الدنيا،
وشقائها وجبروتها،
تمل مثل هذه الأبدان المتعلقة بها، لا فرق في ذلك،
فإن أهدت شيئاً من دعابة المخيلة هدأت،
واستكانت كالماء.
قد لقيت شيخاً يصبغ شعره، وإلى جانبه قربة ماء صغيرة،
فقلت له:
أيّها الشيخ، إن قدرت أن تخفي شيبك، فهل تقدر أن تخفي هرمك؟
فإنّه على كل حال الشيب آخر مواعيد الفناء،

فانهال عليّ بالصراخ والشتيمة،
وقال لي إن لم أصبغ شعري أيّها اللعين، كيف سأتزوج؟
فإنّه الحرص.
ربما يكون في ذلك شيء من الفرح،
لكن هذا القدر من دعابة المخيلة، وحسن الكلمة الطيبة.
قد أخرج الأب ومريام من عزلة التفكير إلى بشاشة الخلقة..
وصفاء المخيلة.
تمر لحظات قصيرة، الشمس ترسل سيل وهجها، إلى القرية، معانقة الجدران والمنازل المختبئة بظلال الأشجار الناعسة من قلة الماء،
آملون سكانها في يومهم الجديد رؤية الخير، رؤية المطر
يزور محبيه ومشتاقيه
يطبق الأب قبضتيه، ويضعهما فوق بعضهما البعض
على الطاولة، ثم يلقي رأسه عليهما مستدفئاً بوهج الشمس الآتي من النافذة
لم نعد نرى النعمة يا سيدتي،
الكل في بغضاء وعداوة،
الحقد في كل مكان،
أشخاص يهمون بقتل آخرين،
حتى الزمان يهمّ بنزع قلوب آخرين
لا أحد يؤمن شره،
حتى نرى النعمة!؟
علينا أن نبقى كما يريدون،
أن نحيا فيما يريدون،
وعمّ من النعمة لا شيء.

فإن أبينا أن نفعل ذلك، لقينا الفقر،
وهذا ما يرغبونه لنا،
فهل هذا هو الحرص الذي تقولينه يا سيدتي؟
غيّر حديث الأب هدوء مريام
فاكتظّت نفسها بالغضب، وقُيّد وجهها بصرامة الأسى،
رغم صبرها لم تعد تطيق،
فثارت صارخة في وجهه
لماذا نعيش إن كنا كذلك؟
من أجل أنفسنا، فهذا عدل.. فإن عشنا لغيرنا فهذه رداءة
وتسألني عن الحرص،
هل الحرص في بقاء السطوة على من يؤمن شره،
عدلاً نحتمي به؟
هل الحرص على الزهد بالخير، وفعل الشر،
عدلاً تأمن أنفسنا به؟
عل الحرص على المال في إغناء النفس، وإحياء العقل،
عدلاً نحارب فيه، وننتصر به؟
هل الحرص على إضرام الغضب بالانتقام،
وإحلال الخوف في قلوب الناس، هو العدل الذي نرتجيه؟
رغم ما سمع الأب من مريام إلاّ أنّه يعلم أنها محقة فيما تقوله، لذلك شعر في نفسه أن الحق عظيم وصاحبه يُعظَّم لعظمته، فأجاب مريام بهدوء ... لا ... لا.
تُكمل مريام حديثها بغضب
– أين العدل إذاً؟
– لا وجود له، ما هو العدل؟ انعدام الحياة.

فبأي شيء تأمن أنفسنا خوف المجهول؟ وشر ما يخفيه؟

(الأب صامت يحدّق في عنق الجرة المكسور)

قل لي بأي شيء؟

لِمَ أنت صامت؟

وقف الأب واضعاً يديه على الطاولة

عيناه تفتقدان الألق،

ماذا فعلت السنوات؟

يكفي، يكفي يا سيدتي أرجوك،

قد نالني ما أردت،

سمعت وقد اكتفيت،

أعرف أن العدل أمان النفس،

وعلينا أن نلزم ذلك،

وإنّما هم من يتعاملون بوزن القصاص، بالشر، بقباحة الانتقام،

يعود ويجلس ببطء على الكرسي، ناظراً إلى مريام،

اصفحي عني يا سيدتي.

فقد علا صوتي، دون ما قيد بالتهذيب،

أو كظم للغضب

قلت ما ينبغي لك أن تقوليه، سيرتك عادلة،

وهذا ما يعجز عنه أي شخص آخر.

مريام تحادث نفسها، سمعت ما قاله الأب، فشعرت بحرقة الألم

إلى متى سأبقى هكذا؟

إلى متى سيبقى الخوف يحيق بقلبي، إلى متى؟

عليّ أن أتحرر من ذلك، دون فعل شيء يشعرني بالذنب،

فإن عدمت ذاتي بتّ مثلهم.

وهذا لن يكون.

ترمق مريام الأب بنظرة متسامحة دافئة،

أحاطت قلبه بطمأنينة،

سامحني أيّها الأب،

درايتي في هذه الحياة ما زالت قليلة،

يستفيق ثابت من نومه،

يحرك عينيه بيديه،

لقد ألهبهما النعاس.

ما زلتم صاحين إلى هذا الوقت؟

لِمَ لمْ توقظوني؟

(يجيبه أروان)

نومك موتة حقيقية، يا ثابت فإن خلدت فيه فذلك قدرك،

وهناك من يرقدون في موت نومه الطويل،

وهم أحياء لا أموات، قبورهم أجسادهم، وقدرهم هم الذين يصنعونه.

إنّي مغادر (يقولها الأب) وكأنّما شيءٌ في داخله،

ينبئه بالغموض، بخطر قريب، بأنه لن يعود،

(يصمت قليلاً)

يضع أروان يده على كتف أبيه، واضعاً إياه في دوائر الزمان،

إلى أين يا أبي؟

يحوك الأب ابتسامة، تنذر باقتراب شيء، تخبئه له الأيام.

إنّي مغادر، فادعوا لي بسلامة الطريق،

فإن لقيت شراً علّها تنجيني دعواتكم.

يهمّ الأب بمغادرة البيت،
متمنياً في نفسه أن يغادر إلى اللاوجود،
إلى تلك الساحات حيث قدسية الحياة،
حيث الطبيعة،
وحديث البقاء.
(أروان يحادث نفسه)
نظراته مودعة على غير عادته،
شيء ما سيحدث،
يا إلهي.
يصبح خارج البيت، يسير قليلاً، ثم يتوقف
يصرخ ثابت،
انتظرني أيّها الأب سوف آتي معك.
يرفع الأب رأسه إلى السماء،
داعياً إياها بقربه،
تلبدت السماء بالغيوم،
ستمطر قريباً،
تُرى هل لي في مطرها لقاء.
هيا بنا يا ثابت،
فليس ما مضى من هذه الدنيا (سوى أنه لم يكن).

نيرامة

ملاك الشمس

لازورد النور

(3)

تعيش نيرامة الآن في حلم جدها الذي قصه عليها،
تعيش رؤية الأمل، رؤية نيرامة.
مرّ يومان،
نيرامة وحيدة معتكفة في البيت،
ما قاله الجد، قد رسم في قلبها الصغير خيوط الحكمة والتقديس.

عِقدٌ قديم، لازورد صُنعت حباته،
بين يدي نيرامة.
ترسم فيه أشكالاً مختلفة، زخرفتها اللازورد،
نيرامة طفلة الآن،
لازوردة، لازوردة،
هذه حبة وتلك أخرى
هذه لي وتلك لضياء.
أمي...!؟
وكانت هي المرة الأولى التي تنطق بها شفتا نيرامة أمي
أمي
الندى،
آيات النور،
شيء ما لامس يدي نيرامة،
ماء السماء،
ماء عينيها،
نيرامة تبكي،
لِمَ؟ لا تجد الجواب.

تُسرع إلى النافذة،
عيناها إلى السماء،
أخبريني أيّتها السماء،
لِمَ أبكي؟
لِمَ هذه الدموع؟
أشتاق إليكِ أيّتها السماء،
أنت هي أمي،
خذيني إلى فلكك الواسع،
اجعليني بين يديك،
لا أعرف ما ألمّ بي،
امسحي لي عينيّ،
كيف أراك أيّتها السماء؟
اشتياق مجهول،
لا تتركيني يا أمي،
ارقي لي رقية قبل أن أنام،
لا تتركيني،
أنت هي أرضي، أنت هي مائي
خذيني بين ذراعيك، حيث تلك الشموع،
بريقك في عينيّ،
ما بين السواد والبياض،
صورة لك،
أنتِ هو القدر،
ابقي معي يا أمي،

ابقي معي،
أرجوك.
ماء عينيها عطر
وجنتاها الصغيرتان
تغتسلان،
تلك قطرات الدموع،
إلى أين تسير؟ أين مقامها؟
إلى الأرض
حيث بدأنا وخُلِقنا،
تُريح نيرامة عينيها بيديها المرتجفتين
يدخل الجد ليرى نيرامة على هذه الصورة، يصرخ
يا إلهي،
يسرع إليها، ما بك يا ابنتي، يضمها إلى قلبه بكلتا يديه،
لا تحتمل عيناه ما رأت نيرامة عليه
ينحني مقبّلاً رأسها
لِمَ البكاء يا نيرامة؟
لِمَ يا ابنتي؟ الجد عيناه لا تحتملان، تبكيان، لِمَ،
لآلئ العليين.
إنها دموع عينيه تلامس شعر نيرامة المتورد هدية السماء، هدية تيرها الأعظم.
تتحسس يداه ماء عيني نيرامة وصوتها المتقطع.
يرفع الجد رأسه إلى السماء
إنّها تبكي
آه، يا الله

ماذا في قلبك يا نيرامة؟ كيف أنت؟
ماذا تخبئ لك السنون في خفايا صمتها؟
لا تبكي يا ابنتي
لا تبكي.
هدأت نيرامة
لم تترك دموعها
باباً في الأرض إلا وفُتح لها
سائلة، داعية، راجية
هدوء سرّها
ويقظان سكينتها
يأخذ الجد نيرامة إلى غرفتها
آملاً أن يقدر النوم على إراحتها مما هي فيه
لكن نيرامة شاردة الذهن
ما الذي يؤرق سرّها؟
ما الذي يشغلها؟
إنّه سؤال، أرادت نيرامة طرحه على جدها
راغبة في الجواب عنه
يجلس الجد إلى جانب نيرامة
هذه موسيقى
تضحك نيرامة
سريري يا جدي، ماذا أفعل به؟
دائماً يسمعني هذه المعزوفة
السنون لا تترك أحداً

حتى ألحان السرير هي من قامت بصنعها
يضحك الجد
ثم يلف نيرامة بغطاء من الجلد والصوف
يحيطها بيديه
جاعلاً رأسها على صدره.
نيرامة في أحضان جدها
السؤال ما زال يشغلها
جدي،
أجل يا صغيرتي
هل يقدر المرء على صنع قدره كيفما يشاء؟
يتأنى الجد في جوابه قليلاً،
لا يا بنيّتي،
لكن في مقدوره أن يرسم لوحة القدر، ويجعلها بين يديه،
فأهل الاعتبار في هذه الأرض،
يرسمون أقدارهم كيفما يشاؤون،
ويعيشون فيها،
وكل يوم يمرّون فيه يجدون علوماً جديدة،
وحكمة لم يعرفوها، وأخباراً لم يسبق لهم أن سمعوا بها.
تنظر نيرامة إلى عيني جدها،
وهل في ذلك صعوبة يجدها المرء إذا اجتهد في طلب ذلك؟
(يجيبها الجد)
– الناس خلقوا للذِكر، والفكرة الفاضلة،
والقليل منهم من يقدر على بلوغ هذه المرتبة العلية،

وإن بلغها فبعد صبر وجهد،
فأيُّ إنسان جالس العلماء،
واستحى من الله بقدر قربه منه،
محباً للناس،
حافظاً لجانبهم،
سيرته عادلة،
تواضعه حكيم،
حديثه حسن،
معرّىً عن البشر،
كان ذا جلالة واعتبار،
وكل يوم يأتي عليه يجد ما يقتنيه، من علم وحكمة،
وهذا العلم هو الذي يرسم له لوحة القدر،
حسناً يا جدي،
أسمعني بقية الحكاية
هل تريدينها الآن؟
أنت متعبة.
أسمعني إياها يا جدي،
فلي في الحكاية رجاء ومقام
وليست رغبتي هي المعرفة بها
وإن الأمل في أن أصل إليها
فأجد نفسي في ذلك
حسن فاسمعي بقية الحكاية إذاً.

نيرامة

ملاك الشمس

لازورد النور

(4)

السماء في الخارج،
ماؤها يروي الحقول،
يروي الجبال،
يروي القرية،
يروي أروان ومريام
هذه نعمة الله
يراقبان حبات المطر المنهمرة من غيوم البقاء
كيف تضرب الأرض بشدة،
تغرق ذرات التراب تحت كل قطرة زائرة،
وكأنّها تقول استيقظي أيّتها الأرض،
أنا الخيرُ، قادمٌ إليك،
أيقظي ترابك المحترق تحت ملأ الشمس
وقولي له إن الخير قادم، أيقظيه من سبات طويل،
قولي له أن يغتر، ويخرج نصابه إلى السماء،
فليس من خير إلا كما كان يعود
(مريام تتأمل حبات المطر)
تتذكر شيئاً ما تسرع إلى جعبتها، الموضوعة عند السلم المهترئ
تفتحها، تبعثر ما فيها حتى تجد ما تريد،
تعود إلى أروان لتريه ما قد أتت به.
انظر، هذا عقد لازورد،
انظر إلى حباته الزرقاء،
أليست مثل حبات المطر؟
يتأمل أروان حبات العقد المتفردة بجمال زخرفتها الزرقاء
ينظر إلى حبات المطر، إلى عيني مريام،

ألق الحياة الباقية.

هل ما زلت متعبة يا مريام؟

هذه أول مرة مذ أتيت، أرى في معالم وجهك، شيئاً من الفرح،

هل هو فرح الشتاء، أم...؟

(مريام تحضن أروان بعينيها النورانية)

أم ماذا؟

يتلمس ثابت الماء على النافذة

لا شيء.

تتأمل مريام عقد اللازورد، وتعود بنظرها إلى عنق الجرة المكسور

ليس من شخص يقع في هذه الدنيا إلاّ والتعب حديث قلبه،

حتى يمضي منها فلا راحة فيها إلاّ بالموت.

تجلس مريام أمام المدفأة

النار المتوقّدة،

الحطب المتجمهر،

الجمر المترمّد،

حياة البشر، ما يشغل فكر مريام دائماً.

ولكن قل لي ما حال أبيك؟

أروان يغمض عينيه، يستمع إلى المطر، إلى صوت الريح المنبعث من جدران البيوت، وأشجارها المتسلقة بروح السحاب

يحادث مريام،

رغبةٌ أرادها يا مريام، فلم يقدر على بلوغها،

حتى سارت به الأيام، فأعجزته غوائلها ونوائبها،

فلم يعد يستطيع صبراً حتى صار على هذه الحال،

الرياح تشتد في الخارج

يغلق أروان النافذة،
يقترب من المدفأة، يجلس على الكرسي، يمد يديه إلى وهج النار ليشعر بالدفء
يُعيد إلى مريام عِقد اللازورد،
تأخذ مريام العقد، فتلامس يدها يد أروان، أيقونة النور
عندي سؤال، أريدُ جوابه منك.
ينظر إليها أروان.
تقف مريام في يدها العقد، تعيده إلى جعبتها
ما هي الرغبة التي قصر قدره عنها؟
مُلكية الاستقلال يا مريام،
تعيد مريام جعبتها إلى موضعها بعد أن أرجعت إليها العقد،
مُلكية الاستقلال؟؟!
وهل كان يرغب بها لنفسه؟ تعود فتجلس إلى جانب المدفأة.
أجل، يُخفض أروان رأسه.
فلا أحد يرغمه على شيءٍ ليس له رغبة فيه.
شعرت مريام برغبة عارمة لمعانقة أروان كلما نظرت في عينيه، وسمعت أذناها نبرات صوته، المفعمة بالأمل، وبحنان الإله الواحد، شموع الإله، أوفدت روح مريام إليه، فعانقت جسده، وجعلت قلبه في ضوء المرتحل، فقبلت روحه سكينة الليل وهدأت ومضت إلى لقيا من تحب.
أبوكَ حُر؟
أجل،
النار في المدفأة يخفتُ وهجها،
برد الشتاء القارس يعمّ البيت.
ما به أروان؟
تزوّد مريام المدفأة بعضاً من الحطب، وتحاول صنع شيء من الفرح،

الناس هنا وهناك منهمكون في أكلهم فقط
وأظن أنّه من الواجب على أي شخص منهم أن يقتصد في طعامه، ويعنى به، وإلا كان وبالاً عليه.
سألني رجلٌ سمين ذات يوم وفي يده طعام يأكله،
ما الفرق بيني وبينه؟
فقلت له بسيط جداً، أنت تعيش لبطنك فتسمن،
وأنا أعيش لعقلي فأكبر، فنعتني بالمجنونة،
وقال لي: اجعلي عملك يُطعمك إذاً، فأنا لا عقل لدي حتى يطعمني،
أضحكت هذه الجمل القصيرة وجنتي أروان ولكنه سرعان ما عاد إلى سكينته،
قد تحرر من سجن خطيئته، فوجد العفة في نفسه،
أحبَّ الحق، وعمل عليه،
حتى صار حارساً له،
وبقاؤه في ذلك أبعده عن الناس، وجعله منشغلاً في نفسه دائماً،
فمجداً لما هو فيه.
تقاطع مريام حديثه، إذاً فقد عاد أهل زمانه
ولم يبقَ له سوى نفسه، صديقاً وأنيساً.
أجل يا مريام،
فالحُرُ والخيّر ليس بمثل العبد والشرير.
أروان اسمك جميل، فتى النور،
يخاطبها أروان بأسى
فتى النور؟؟!
وهل أنا كذلك حقاً؟ ربما.
لِمَ تقولها هكذا، بالطبع أنت فتى النور يا أروان
وهل يقتصر النور على الأتقياء فقط،

أنت حسن الصورة، وقد جمعت إلى حسن صورتك حسن خلقك فكنت كاملاً، وهذه فضائل النفس مجتمعة فيك.

حتى القبيح، إن جمع إلى قبحه، فضائل حسن خلقه لغطى ذلك على قباحة وجهه.

فأين رأيت نفسك الآن؟

السماء، نزهة المشتاقين، روضة الأفراح التي يحلم بها أروان دائماً.

هذا كلامٌ نفيس، أشكرك يا مريام، فقد أرحتني قليلاً.

كلام العلماء في أغلب أحواله، علم نافع ملقح للخاطر، ملقح للفكر.

وهاك أنتِ كلامُكِ كذلك.

قل لي يا أروان: هل بقي أبوك على حاله؟

هل أرته الدنيا ما تفعله بالناس؟

هل رأى تغييرها لهم؟

كيف كانت له الدنيا؟

سجناً أم جنة؟

دار بقاء، أم دار فناء؟

انظري يا مريام إلى تلك الجمرة المحترقة

عندما وضعت أوّل مرة في النار، تذكري كيف كانت قاسية قوية، قادرة على تحمل النار لبعض الوقت،

وهكذا الإنسان،

إن قدِرَ أن يكون سيداً لنفسه فذلك جوهره، وإلاّ فلن يقدر على ذلك إن أغفلته النار عنها،

فالنفس لها قوتها يا مريام،

وأي شخص أراد أن يبعث نفسه إلى حياة الحق،

وأن تعيش حياة الحق، الحياة الإلهية

عليه بالصبر، والحكمة المقدسة،

واحتمال الناس، بما فيها، بما ألمّت، بأية منزلة كانت بها، بأي شيء جعلت بقاءها وتوضعها فيه،
بأكثر مما تحتمل الطبيعة،
من قسوة الدنيا، وجبروتها، وصورتها المصنوعة من مقدرة وعلم وجود وحكمة أوجدها إياها
خالقها وبارئها، الله عزّ وجل.
فالحكيم لا يفرح بشيء من هذا العالم،
ولا يحزن لشيء فاغتمَّ له.
لم يبقَ على حاله يا مريام،
إنّ خروج الناس عن الحق،
وبقاءهم في عبودية الدنيا ورقّ الجهالة،
أبعدهم عن الحرية، عن الجوهر الذي من أجله نعيش،
ومن أجله نبقى.
كيف ذلك يا أروان؟
– خرجت هذه الكلمات من يقظة بصيرته
ونفاذ رؤيته،
فإنَّ الحكيم قريب إلى الله، والحكمة سلم العلو إليه.
تتعجب مريام مما ترى، دموع الحرية
تمشي بخطوات مرتجفة إلى أروان
تبكي؟؟
لِمَ يا أروان، تقترب منه والتوتر أرجف يديها
تزيل عن عينيه الدموع،
لم تعد تطيق صبراً، فجّرت عينا أروان الباكيتان حنين قلبها المثقل بما حمّلته إياها السنون،

لتضمّه إلى صدرها بحرارة وشدة
لا تبكي،
لا تبكي.
لكن عيني أروان لا تتوقفان
يُمسك يدي مريام، يرمقها بنظرة حزينة،
ثم يقبّل يديها
تتركه مريام قليلاً لتأتي له بكوب ماء
تروي به أوصاله المحترقة من عناء الدنيا،
وحال الناس، وانعدام مسرّة بقائه بينهم
فتحت أبواب قلبه أخيراً
جانب مظلم في حياة أروان، يسلك خيط من النور إليه،
خيط من الأمل
خيط من بروق الحب،
الكوب تحمله مريام
قلبها مضطرب
تجلس إلى جانب المدفأة، شاردة الذهن
تفكر، كيف أوصلتها مشاعرها،
إلى مدائن القلوب، وبساتينها
المشيّدة على ألواح العماد،
كيف، رغم صبرها، وقوة جلدها،
لم تقدر، لم تقدر، فهذه هبة الله.
يأخذ أروان الكوب، يشرب منه الماء،
يتأمله قليلاً، ليكسب ما بقي فيه من ماء
على جمرة متجمهرة، تتوحد في معتزل عن أخواتها

ليطفئ وهجها الملتهب باحمرار لوامعها المتشردة.

أرأيت يا مريام

هكذا ينطفئون.

أعاد أروان الكوب إلى الطاولة،

الصمت،

سكينة الليل،

برودة الشتاء والعواصف تثيران المكان في الخارج

العنق المكسور،

لهذه الآنية حكمة.

فلا شيء يُكسر ويعود كما كان

أليس كذلك؟ لا سيما وإن عصفت به رياح الفقر

ما الذي تقوله يا أروان؟

أي بصيرة تملك،

أي عقل وُهبت،

هل تستحقك الناس؟

ترى هل أستحقك أنا؟

أنتَ تفوقني يا أروان، تفوقني في كل شيء،

رغم سنك الصغير إلاّ أنّك عالم، وليس مثلك أحدٌ،

هذا ما حدّثت مريام نفسها به، في لحظات قصيرة

سمعت أذناها ما قاله أروان

إذاً وقع أبوك أسيراً للعبودية، رغم كل ما يملك

فابتعد عقله وضاقت به نفسه، فصرعته شهواته، وخباثة من حوله، حتى وقع أسيراً لها.

إنّها قلة المال.

قلة المال، يستريح أروان على الكرسي
ماذا يقولون؟ لا شيء
يبرمونك بأفعالهم دون أن تعرفي خروجاً منهم أو من قيودهم
سائرون. يتلمّس عنق الجرة المكسور وكأنّه يخبر عن شيء ما،
وكلنا سائرون،
حتى لا يبقى أحد يقابل شخصاً فيلقيه خطؤه أسيراً فيه
مريام الكل كذلك،
المال لا يترك أحداً دون تغيير
العاقل فقط من لا تُغيّر قلبه قلة المال، وإن ضاق به الفقر،
الكثيرون (يشير بيده إلى النافذة إلى برودة الشتاء وعتمة الليل السوداء)
ترين الأموال بين أيديهم بقدر يفيض عنهم، ويطعم قرية بكاملها إن رغبوا في ذلك
لكنهم مترفون، أموالهم غائبة عنهم، رغم ملكهم لها
لكنها ليست لهم
وإنّما لأشباههم من الأشرار والحسّاد، ذوي العدوات والأحقاد
والسكارى والجهال،
هؤلاء من يدّعون النعمة،
ويطالبوننا بها،
آملين أن نخضع لهم،
تعال يا أروان،
اجلس بالقرب من المدفأة
قسوة البرد
ماذا أفعل؟
أجل قسوة البرد
أشعر بها، تحرق نفسي لا جسدي،

وأنا أيضاً. اقترب من المدفأة،
يعود أروان فيجلس بالقرب منها، المدفأة
الجمرات الملتهبة
لوامعها المتشردة، أحجية تستحق التفكير
أجزاؤها المتفككة، تُتممُ بعضها بعضاً فيكتمل الوهج ليُشعِر من يقربه بالدفء
هؤلاء من تكلمت عنهم يا أروان، هم القرية،
هم الإمارة، هم الولاية، أمّا نحن فلسنا شيئاً
لا يا مريام نحن كل شيء
– تعرفين سراب الصحراء.
– أجل أعرفه.
نحن كذلك يا مريام، يوماً ما سيموتون عطشاً
سيبحثون عن الماء ولن يجدوه
أين الماء؟
حرقة العطش،
أين الماء؟
سيأتون إلينا باحثين عن الماء، وعندما يصلون
لن يجدوا شيئاً، هم يبحثون، يبصرون السراب من بعيد،
إنّهم هم هؤلاء من نريدهم، اذهبوا إليهم، ائتوا بالماء
فإن جاؤوا، خاب ظنهم،
فهذا هو السراب.
فبقي العطش حائراً في أعناقهم في أجسادهم،
يريدون الماء
أين الماء؟
حتى يبصروه مرة أخرى،

فيأتوا زاحفين، يلهثون، يريدون الماء ليرتوا
فلا يجدون شيئاً، فيخرُ طولُ عنائِهم.
ويلتقون الأرض مرتحمين لما هم فيه، راجين أن يبدل
الله أحوالهم، ويعيد إليهم الماء
حرقة العطش يا مريام
ليس منها هروب فهي الأمر الباقي والدائم
دائماً كنت أقول: لنسأل الله النعمة الباقية معنا
أبداً لا ما يزول،
ولكن أين؟
يلقون أجسادهم الضائعة في صروف الزمان
على الأرض، ميتة، هامدة حتى تندثر،
وتصبح عظاماً مترقّدة مثل ذلك الجمر المحترق في المدفأة
يهتدي بها من يراها من الذين سيعقبونهم في الحياة
قلة المال، سترين يا نور أروان،
إنّ الزمان سيكشف عن نفسه قريباً، سترين
فها نحن إن لم نكن مترفين غائبين مثلهم
سنكون سائرين إلى البقاء أبداً،
ولسنا سائرين إلى الفناء
مريام ساكنة، كلمات أروان أيقظت في نفسها حنيناً خبّأته السنين القاسية،
ماذا قال أروان؟
نوره؟؟! أنا نوره؟ هل أنا كذلك حقاً؟
يا إلهي،
لِمَ أشعر بهذه البرودة؟
ما هذه السكينة التي نزلت بي؟

لا أقدر حتى على رفع رأسي
يا إلهي
أحس أروان من نفسه أنّه قد أخطأ،
لكن ذلك قد حدث دون سابق قصد فيه
– ما بك يا مريام؟
القلق بادٍ عليك،
هل أزعجتك بشيء؟
لا، لا
فقط أنا متعبة قليلاً،
تغادره مريام إلى فراشها، لتستقر في نوم عميق، صنعه الخوف،
الخوف يا أروان،
أنت لم تخطئ، الأمل، الأيام، أنت لم تخطئ، يا إلهي
يسرع أروان إلى غطائه الصوفي،
ليضعه عليها بكل هدوء خوفاً عليها من قسوة البرد،
نامي باطمئنان يا مريام، نامي
يعود فيستريح إلى جانب المدفأة، آملاً خير أيامه القادمة.
انفتحت الظلمة في البيت،
فجر يوم جديد،
رائحة المطر،
في الصباح ما يبعث الروح في نزهة المشتاق
قطرات الندى، ليس بسقوطها من ورق أو زهر،
بل من أخشاب النافذة المبللة بالماء
وزجاجها الهائم في قروح المطر
هذه الرؤية في عيني مريام،

أيقظتها رائحة الشتاء وأصوات العصافير المغردة في الخارج
في أزقة القرية، ونوافذها المنتظرة،
ولكن سرعان ما انقشعت هذه الرؤية إلى أروان
فهو ما زال على الكرسي آمناً في نومه، رأسه ملقى على يده
المدفأة أمامه ترمّد جمرها
شعرت مريام بدفء لرؤية أروان على هذه الصورة، وغطاؤه عليها،
تقف بهدوء، مزيلة الغطاء عن نفسها، تسير إلى أروان، والغطاء بين يديها، تلف
أروان به دون أن يشعر بذلك
توقد النار في المدفأة
تحرك الرماد،
بعض من الحطب في المدفأة، توقد به النار
تغيب قليلاً،
تأتي بكوبين من الشاي الساخن
النار قد ازداد وهجها
يفتح أروان عينيه، يراها أمامه، النار المشتعلة
مريام، مريام
– متى صحوت؟
– منذ وقت قصير.
أوقدت النار في المدفأة؟
أجل، رأيتك نائماً هكذا، فوضعت الغطاء عليك،
قدّس الله سرك يا مريام وباركني بك،
كوب الشاي اشربه هنيئاً.
يُمسك أروان الكوب، يحتضنه بيديه،
ما زال ساخناً،

– هل توقف المطر في الخارج؟

– لا، ما زال في قسوته.

اشتدت قوته عن الأمس؟

أجل.

يتناول أروان الشاي

– كنتِ متعبة في الأمس، فهل استرحت الآن؟

أقلقتني عليك.

بالطبع، بالطبع، رؤية أمل انتظرتها طويلاً

وجدت نفسي أعيشها، الخوف

الخوف يا أروان هو ما يتعب نفسي دائماً

– الخوف من ماذا؟

لا شيء، لا شيء

أكمل لي ما كنت ترويه عن أبيك، فإنّ ذلك يُشغلني،

كما تريدين،

ليس قبل أن تكمل كوب الشاي (وتنظر إلى السماء إلى حبال المطر المنهمرة)

– كما تريدين

ضحك أروان لما سمع ، هل هو في حلم

أكمل كوب الشاي، ونظر إلى السماء طويلاً، تنهّد بعمق وبدأ يروي تتمة حديثه.

عَمِلَ كثيراً يا مريام

عمل كثيراً

لم يترك لنفسه شيئاً حتى يأخذه غيره،

فإنْ عملَ جعل عقله حاكمهُ، جعل الحذر وزيراً له،

جعل خوفَ الله خشيته الدائمة،

وإن تابع في علمه، جعل الصبر مسيرة قلبه،

وذكر الموت أنيس نفسه

– هل خاف أبوك الموت؟

لا. لم يخف الموت، وإنّما استهان به، خوفاً من سطوته عليه،

الطمأنينة والعدل، حياته هكذا،

كان يتألم لحياة الناس، لحالهم، يموتون دون شفقة أو رجعة من الموت عليهم،

شعورهم بذلك، من ظلمهم وجورهم وأحقادهم وشرورهم

يزيد أروان المدفأة بعضاً من الحطب، قبل أن ينطفئ وهجها،

ينهض، ثم يعود إلى جلوسه على الكرسي محكماً الغطاء حوله مستدفئاً به،

يترقّبهم الموت، وهم لا يعرفون.

لم يغفل عنهم يوماً حتى يدركوا ما يفعلونه،

فوقعوا في دار الهوان، آبدين فيها،

لا رغبة لهم في الخروج منها، حتى أمست أعناقهم رماد التراب،

أرواحهم باتت دنسة هائمة في هذه الأرض المحاطة

بلهب السماء، وحرقة الماء، وحدّة اقتراب الشتاء.

تعيش مريام في قدسية الحديث،

فقد سمعت أذناها ما لم تسمعه من قبل، حديث أروان

لا يقدر عليه، سوى العلماء والأتقياء

أيها الشاب الرائع،

أحياني الواهب بما أحياك به.

بَرَدَ الكوبُ في يدك يا مريام.

أعرف ذلك،

هو لم يبرد، مُضي الوقت هو ما جعله يبرد،

أُفقِد الشاي دفء النار التي جَمعت بين ذراته،

فأوجدتها مذاقاً ولذة في الطعم،

رغم برودته
سأشرب ما فيه.
تشرب مريام الشاي، تستلذّ به،
مذاق البرودة، تضحك.
ما الذي أبهجك؟ ، تجيب مريام،
غريبون أولئك الناس،
إنْ تذكروا آخرة لهم أو عاقبة، يكون ذلك بعد وقوعهم في البلاء،
القبور،
والقلوب المتمردة،
والجلود الميتة
أولئك العبدة، ذوو النفوس الدنيئة والمقدرات الزائلة التي لم يحسنوا توظيفها للخير، فأسرهم الشر،
وتصرّفت بهم الأيام، حتى صرفتهم،
وأبقت منهم عظاماً بالية، ليس كمثلها شيء سوى الرماد.
رياح الفقر من بدّلت حال أبي يا مريام،
أخرجته عن حريته، فبدأ يسير مع الأيام،
رغبة منه في جمع المال، وإقناع هذا الجسد الذي يملك،
من نساء، ونعيم وترف
بدّل المال قلبه
اللعنة على المال، ماذا يفعل بقلوب الناس،
هل نسمح لأنفسنا أن نكون أسرى للعبودية؟
هل العبودية رتبة يعتز المرء بها؟
أخبريني،
لم نعد أحراراً للوحيد،

ولكننا بتنا عبيداً للعبيد.
ينهض أروان، يأخذ كوبي الشاي إلى مكانهما،
يقترب من النافذة، يمسح الزجاج بيده، ينظر إلى القرية،
ما زالت تمطر في الخارج.
لوامع الرعد تضرب سفوح الجبال المتشققة،
لوامع الرعد تضرب الأنفس الميتة، حتى يستريح العالم من شرها
لوامع الرعد تضرب نفسي، علّي أتيقظ من رقدة الغفلة
علّي أنقضي من ضعة القدر، وقلة الصبر.
إلى متى؟ (يصرخ أروان) الغضب يفجر عينيه،
إلى متى سأبقى غريباً لا أعرف أحداً، ولا يعرفني أحد
إلى متى؟ أخبريني يا مريام إلى متى؟
لستَ وحدك يا أروان، أنت لستَ وحدك،
تنهض مريام عن كرسيها
تسير إليه،
تضع يديها على وجهه
لست وحيداً يا أروان
الرجل الحكيم هو عند الله معروف
لذلك لا يحزن إذا لم يكن معروفاً عند جميع الناس
فهذا يكفيك.
وأنا إلى جانبك، بقدر استطاعتي
أنت يا مريام، يُبعد يديها عن وجهه، ويعود إلى النافذة،
يحدق في الجبال، بقطرات المطر، تسيل أمامه على الزجاج
كلكم تقولون ذلك،
ثم تغادرون، تهربون،

لِمَ؟

أنتِ مثلهم أعرف هذا، أعرف

أنت هنا الآن لكن نفسك غائبة راحلة، أرى ذلك في عينيك كلما نظرت إليهما، وتقولين إنّك إلى جانبي.

مريام صامتة لا تتكلم، أدركت في نفسها أن أروان تيقّن برحيلها عنه. اقتربت منه قليلاً، وضعت يدها على رأسه، داعبت شعره، ثم غابت في شرود الرحيل

أبي مثلهم يا مريام، الخوف والقلق يغلبان نفسه دائماً

فلم تعد الطمأنينة تحيي قلبه، بات يشعر أنّه راحل عن الدنيا، تيقّن من ذلك، آلمه خوف الموت فيها

الحي وأي حي إن لم يكن غير عادل مع نفسه،

لن يتوهم أمراً هو أصعب عليه من الموت.

نيرامة

ملاك الشمس

لازورد النور

(5)

غفت نيرامة،
أحضان جدها،
وصوته الهرم
صنعا لها حلم الأمل،
حلم الخروج إلى السماء،
ورؤية ما لم تقدر على تصوره،
وجه أمها
أمي،
يصحو الجد،
نبرات صوت متقطع
نيرامة تهذي،
أمي، أمي
يقبّل الجد نيرامة من رأسها، يضمّها إلى صدره
لا تحزني يا بنيتي
لا تحزني
أنت هبة السماء لي
لن أتركك
ليس من وحدة عشتها،
إلاّ وكنت لي رجاءً أُبصر علمي منه،
صديقاً أجد نفسي فيه، وحتماً لا يغضب منه،
وكل شيء أردّته، أيقنته علماً فيك يا بنيتي
لن أتركك
انشق فجر يوم جديد،
رياح خريفية،

أوراق شجر متناثرة هنا وهناك
أصوات طيور
ألحانها
سمفونيات تعزف إطلالة الصباح
أشرقت عينا نيرامة أخيراً
ما هذا؟
ما الذي يحط على النافذة؟
إنّه طيرٌ
تنزل نيرامة عن سريرها
تقترب إليه
تغمض عينيها من نور الشمس المنبثق من زجاج النافذة،
تفتح بابها الصغير فيدخل الطير من انشقاق النافذة، صوته يملئ الغرفة،
هذا كنار برّي لم يكن ينقر النافذة، وإنّما كان يحاول الدخول حتى يوقظني
ما أبهى ألوانك أيُّها العصفور، ما أبهى صورتك.
استيقظ الجد، صوت العصفور لم يتركه ينام، جعل أذنيه في حالة استماع
أيُّها العصفور المزعج
من أين دخلت؟
(تحادثه نيرامة) أرأيت يا جدي؟
كنار برّي!
هذه ألوان الربيع أم ألوان الخريف أم ألوان الشتاء أم ألوان الصيف، قل لي؟
انظر ما أبهى صورته.
ينهض الجد قليلاً،
الكنار يا نيرامة،
طير نادر ربيعي،

حياته الأماكن الفرحة، العميمة بالزهور، وأغصان الورود،
المتبهرجة باخضرار أعناقها، واسوداد رؤوس أشواكها،
علّها إن احدق بها شر تقدر أن تحمي نفسها،
رغم صغر حجمه إلاّ أنّه يحتمل،
ما لم تقدر الطيور الأخرى على احتماله،
زقزقته لها صلة بنفس الإنسان
ألوانه من ألوان الفصول.
تراقب نيرامة تنقلات الكنار في الغرفة،
إذاً هو يا جدي، كما قلت،
طير الفصول،
تقترب نيرامة من باب النافذة، وتجعله في فتحة كاملة،
حتى انقضى وقت الكنار
بمغادراته منها،
وكأنّه أنذر بقدوم الخير لنيرامة،
استجابة من السماء لها،
لما روته، وأشرقت به،
أي كلام خرج منها حينئذٍ
إن لم يكن للناس،
إلاّ أنّه شموع الخير والبقاء لها
هذه نيرامة.
غادر الكنار،
ألمَّ الحزن بوجه نيرامة،
يقف الجد،
يدعو نيرامة إليه،

تعالي يا بنيّتي، خذيني إلى الخارج،
حتى ترى الشمس أجسادنا،
فلنا من وهج بقائها،
شفاء ودواء
ألقت عينا نيرامة،
ماذا فيهما،
قدسية الخلود،
ساحات النور،
بهجة الحياة،
مدارك الإنسان،
سيوف الإشارات،
ألواح العماد، ما بعثته السماء في نفس نيرامة لرؤيتها الكنار
تخرج نيرامة مع جدها،
يسيران في حديقة المنزل،
أين يجلسان؟
هناك يشير الجد بيده،
في أحضان الظلال المنبعثة من أغصان الزعرور،
المقبلة من راحة الأيام بها،
بعد تيبّس أوراقها،
تلتقط نيرامة ورقة صفراء من أوراق الزعرور المتساقطة،
تمعن النظر فيها،
تحاول صنع شكل بها
أخذته من رسومات الطبيعة،
الجد يرى نيرامة،

ماذا تفعل؟

أرى في عينيك سؤال يا نيرامة،

أجل يا جدي، هناك ما يشغلني؟

ارويه لي يا صغيرتي

هل حصل الأب بعد ذلك على مراده؟

يجيبها الجد،

لا، لم يحصل عليه،

لأنّه في دنيا فإن لم يُعده طريق العلم، لم يُعده طريق العمل،

وكيف ذلك؟

العلم يا نيرامة في هذه الدنيا مرآة العقل،

والعمل فيها مرآة النفس، وكلاهما لا تشبههما

مرآة الأجسام،

فإن لم يكن العقل مكملاً للنفس،

أشرف بهذه النفس على الهلاك،

وأنا يا جدي

تلقي نيرامة برأسها على كتف جدها،

أنت زهرة صغيرة،

نرجس عطري متفتح،

خرّم ربيعي،

عابرٌ في مباني المقدسات،

عقلك صانعك،

نيرامتي الحبيبة،

قدّمي عقلك أمامك،

في كل أمر رغبت في حدوثه، في وقوعه لك،

يشتاق إليك كلّ شيء،
يقل حزنك على ما فاتك أملُهُ،
وعلى أيّة رغبة تنتظرين قدومها إليك،
فالصالح للمرء والحسن له،
لا يكون إلا من ذلك.
تقف نيرامة
تمسك غصناً يابساً، اليبوسة تسرق أغصان الزعرور،
جفت أغصانها دون وجود أوراقٍ تحمل اخضرار الحياة،
تحيط نيرامة،
الأشجار،
البساتين، الحقول،
انسدال الماء في بروج الصخر،
نظرةً رحيمةً،
متحررةً من قيود الأجل،
ينبوع السلام والشوق
جدي، هل الزمان آمن؟
هل نأمنه نحن؟
نيرامة ليس الزمان بآمن، فهو آمن،
كيف؟
اسمعي مني بقية الحكاية

نيرامة

ملاك الشمس

لازورد النور

(6)

مرَّ وقتٌ طويل على غياب الأب وثابت،
أين هما؟
ماذا حدث لهما؟
مغيب القدر،
ماذا يخفي؟
غادرت مريام البيت دون أن تُعلِم أروان بذلك،
أخرجتها هموم السّنين الماضية عن احتمال وقتها الذي تعيشه،
فهمَّت بالرحيل،
رحلت مريام،
أروان وحيداً في المنزل،
يجلس على الكرسي، يتأمل السلم القديم إلى جانب النافذة،
يحادث نفسه،
والمرارة تكاد أن تسكت قلبه عن الحياة،
لماذا يا مريام؟
كنت أعلم أنّك ستغادرين،
كنت أعلم،
لماذا؟
الشرود، أين أنا؟ ما الذي يحدث لي؟
صوت الحرية في أذني أروان،
شموع البقاء تحادثه،
أيقظ نفسك يا أروان،
لا تبكي، لا أحد يستحق عناء التفكير فيه،
الكل هكذا،
صورٌ إن رأيتها بحسنها، أوفدت محبتك، ورغبتك في وجودها إلى جانبك،

فإن أشبعت هذه الصورة بذلك غادرتك،
لا لأنك قمت بأذيتها،
بل لأنها لم تعد تعرف كيف تحافظ على نعمتها،
لم تعد تطيق النعمة بين يديها فأسرعت بالهروب،
فأيُّ شخصٍ أو مركبٍ لم يعش بصورته،
كيفما وجد عليها،
لن يعرف راحةً أو هناءةً،
لذلك عليك بمواجهة مصيرك،
مواجهة أيامك،
دون خوف،
دون الشعور بعذاب في النفس،
أو ضيقٍ في الصدر،
عنق الجرة المكسور،
هل سيأتي يومٌ أراك فيه مكتملاً،
زقزقة العصافير خلف زجاج النافذة،
الشروق،
هيمان الأرض بزرقة السماء،
هذا السلم القديم،
كوب الشاي،
مريام توقد المدفأة، تلفني بالغطاء خوفاً من برد الشتاء،
عقد اللازورد،
المطر،
يحاول أروان النهوض،
لكن الهمود، والسكينة،

أثقلا الروح،
فسقط الجسد أسيراً لهما،
فغدا ساكناً كالماء.
آهٍ يا مريام،
اعتدت عليكِ،
لم يكن في وسعي أن أفعل شيئاً،
الفقر يحدق بي،
كلكم تقولون إنّي غني،
وليس مثلي أحد،
رغم ذلك، أركن إلى الزمان،
رغم علمي أنّه ليس آمن،
ألزم نفسي، محبة الخير،
ألزمها العدل،
عاهدتُها على المحاسبة، حتى
وإن كان، الأمرُ صغيراً،
حتى تلزمني النجاة،
بحثتُ عن المحبةِ في قلوبِ الآخرين،
وضعت محبتي بين يدي،
أقدمها رسولاً،
في أرضٍ بتنا فيها عبيداً للمال
قلت لي يا مريام:
ألاّ أطلب الأشياء بحسب محبتي لها،
ولكن أطلب من الأشياء ما هي محبوبةٌ في أنفسها، وهذا القدر،
أنت ماءٌ يا مريام،

ماءٌ من كل السماء،
من أرضٍ نورانية،
من أرضٍ قدسيّةٍ شريفة،
تحنّ روحي إلى لقياك،
مريام،
أين أنت الآن؟
أين أنت؟
يُطرق باب المنزل،
لا أحد يجيب،
يُطرق ثانية،
يصحو أروان من شروده،
يسير إلى النافذة،
يفتح أبوابها،
يحادث الطبيعة،
وحرقة الشوق تسكن صدره،
اشتقت إليك أيّتها الطبيعة،
اشتقت إليك،
فلم يعد أروان جوهراً متصلاً بنور نفسه،
أصبح يتوهم النار لا النور،
يتوهم الضوء لا الضياء،
إلهي،
لن أبقى هكذا،
لن أبقى،
يُطرق الباب مرة أخرى،

يلتفت أروان إلى الباب،
عيناه حزينتان،
تنهّد بعمق،
رُؤيا غامضة تسللت إلى عينيه،
هذه الطرقات ليست عادية،
تخبئ خلفها شيئاً ما، تُرى هل حدث شيء في القرية؟
أحدثَ لمريام مكروه ما؟ أرجو لها الخير وسلامة الدرب
يُطرق الباب طرقات غائبة،
أجل،
إنّي قادم.
يقترب أروان من الباب،
يفتحه بهدوء،
موسيقى الباب الخشبي،
وهج الشمس في عيني أروان
يغمضهما، يضع يده أمام وجهه، حاجباً نور الشمس عن عينيه،
ليشرق بهما، فيرى القرية المستيقظة من نومها القصير،
يرى أشجارها الناعسة،
يرى جبالها المشتاقة للرياض، لاخضرار رباها، لأكاليل الربيع،
يرى حقولها المنتظرة قدوم السنابل الخضراء، قدوم روض الربيع،
قدوم الزهر ونفحات الشيح، وانهمار المطر الربيعي
بتنا في آخر أيام الشتاء
كيف حالك يا أروان؟
كيف كان خير الشتاء عليك، وعلى أهل القرية؟
تلفّظ أروان بكلمة واحدة،

ثابت، عُدت أخيراً،
ضحكة الأسى،
جعلت وجه أروان في حالة رحيل عن الدنيا،
يفتح يديه، يرتمي ثابت بينهما، معانقاً إياه،
يحضنه أروان بشدة، يا صديقي، يا أخي،
أين كنت؟
– لماذا أطلت الغياب؟
ما الذي حدث لكما؟
شهورٌ تمضي،
لا أخبار أسمعها فتريحني، هكذا.
اعذرني يا أخي، اعذرني،
اشتياقي لمريام، للبيت، للكوخ المهجور، للقرية كلها،
اشتياقي لكم جميعاً، ليس الحنين سوى مهجر للقلوب إن فقدت أحبابها.
تفضل بالدخول هيا واسترح من عناء الطريق،
يدخلان البيت،
يغلق أروان الباب خلفه.
اتركه مفتوحاً يا أروان،
دع الشمس تدخل إلى منزلك المهجور.
منزلي المهجور؟؟!
وهل بات كذلك حقاً؟
هو كذلك يا أروان،
أعلم هذا،
فالبيت عماد الصدق يا ثابت،
والصدق محمود عند أهل السماء والأرض،

الجوع والسهر والمواصلة والانصاف،
تُعظَّم بها أقدار الإنسان،
فأيُّ بيت هجر منه العجب،
هجر منه التجبر،
هجر منه الحسد،
هجر منه الرياء،
أسكن العفة والحكمة والصدق،
لهذا قيل بيت الغريب حيثما سار وجده،
وحيثما جلس يكنْ، فيه سيداً لا مسيود،
آمراً لا مأموراً، محباً مألوفاً، قريباً من الناس،
مرغوباً من كل عين تراه،
من كل أذن تصغي إليه،
يجيبه ثابت،
هذه رحابة الكلام،
أنفس ما يقتنيه المرء هو ذلك.
يحرّك أروان الباب بفتحه على ملئه،
– وإنّما أبواب الرحمة مفتوحة، كانت منذ الأزل، ولم تغلق بابها يوماً.
فتبصر عينيه، حدوة فرس، إلى جانب الزقاق،
يبدو عليها أنّها ليست قديمة،
يحادث ثابت والاستغراب بادٍ على وجهه
والريبة تسافر فيه إلى عالم الغموض،
ما الذي يحدث لي؟
ما بك يا أروان؟
حدوة الفرس،

شيء كالخرافة،
ما الذي أتى بها إلى ساحة الزقاق؟،
في القرية كلها ليس هناك خيول
يعود أروان بذاكرته إلى الخلف،
الآن فهمت،
قد ذكرت شيئاً ما،
ما هو؟
يومٌ من أيامٍ مضت،
عابرٌ مسافرٌ
مرَّ على فرسه مسرعاً، وكأنّه يهرب من شيء ما،
لم أتيقن سبب هروبه، ولكني علمت مؤخراً،
أن هذا العابر، يهرب من فعلةٍ نكراء، قام بها،
المعنيون فقط بالقصاص به، هم من يريدونه، ويبحثون عنه،
هل مرّ من هنا؟
لا،
هذه هي الغرابة في ذلك،
أنّهم لم يمروا؟؟!
أجل يا ثابت، هذه هي الغرابة،
علم ثابت أن أروان قد شعر بخطر محدقٍ به،
شعر بما ينتظره في الأيام المقبلة،
هذا الشخص كان يهرب من علل نفسه،
وعجزه عن حل أمره، وعجزه عن مسألته.
وصدقه في سعيه، هي صحوة ضميره النائم،
فلم يكن مدركاً لنفسه شيئاً،

يوافق إدراكه حقيقة المدركين به،
فهمَّ بالهروب،
لأنّ يقظة النفس أشدُّ عذاباً من يقظة القبر،
فسقطت تلك الحدوة من إحدى قوائم فرسه على الأرض،
هل ترى من ذلك شيئاً؟
إلى أين ستصل يا أروان؟
ما أشدُّ نفاذ بصيرتك؟
أجل، أرى مؤدب النفس الرديئة،
فهو كهذا العابر تماماً،
أوثق إمساكه بلجام فرسه، عنى به،
فسار مطمئناً،
حتى غفل عنه فجمح به، فكان الخطر حليفه وصديقه،
وهؤلاء الناس يا أروان يشير ثابت بيده إلى القرية،
هؤلاء الناس أجبرتهم الدنيا على أن يغفلوا عن ألجمة خيولهم،
فجمحت بهم، إلى ما لا يُعرف له نهاية،
من جنايات وشرّ في هذه الأرض،
حتى يأخذهم الموت.
عمَّ الخوف قلب أروان، فالتفت إلى ثابت بسرعة جاهراً،
– أين أبي يا ثابت؟
أين أبي؟
ذعر ثابت لسؤال أروان المفاجئ
فاستكان للصمت،
– قلت لك أين أبي؟
خرجتما معاً،

وها أنت تعود بمفردك،
أخبرني،
لماذا لا تتكلم؟
أحدث له مكروه ما؟
أخذ ثابت كوب ماء، واستراح على الكرسي،
ما زالت الجرة كما هي، على حالها،
لا معين لنا سوى الصبر في هذه الدنيا يا أروان،
متى حدث له ذلك؟
عندما شارفت رحلتنا على الانتهاء،
طريقٌ طويلة
حلكة الظلام،
كثافة الضباب حجب الرؤية،
مرت عربةٌ سريعة تجرها أربعة أحصنة،
وكنا من الذين شاءت أقدارهم أن يقعوا في حبائل الخطر،
لم نرَ إلا وميضاً كشهاب هبَّ في وجهنا فكانت الأحصنة،
هل صدمتكم الأحصنة؟
أجل،
لِمَ لَمْ تحذرا؟
نحذر؟؟
وهل في مقدورنا أن نحذر؟
يقترب أروان من السلم يلقي يده على درجةٍ من درجاته الخشبية
أنفاس ثابت تتسارع،
القدر مخبوءٌ لكل الناس يا أروان،
لا أحد يعرف ماذا تخبئ له الأيام؟

ماذا ترسم له الأقدار؟

لا أحد،

هل رآكما أحد في الطريق؟

لم يكن هناك أحد، العربة لم تتوقف، بقيت على مسيرها وعجلتها

أعتقد أن هذه العربة لذوي الأموال الكثيرة الذين يملكون

إلا أنّهم لا يملكون شيئاً، قلوبهم ضائعة، مترفون غارقون،

انقشع الضباب قليلاً، فرأيت كلباً أسود يرقد إلى جانب جذع شجرةٍ عالية يحتمي من خطر الطريق،

كلبٌ أسود،

أجل يا أروان

وقد هرب مذعوراً لمّا رأى،

كأنّي أراه هو الفاعل،

هو جبانٌ إذاً!؟

فهذا كلب وما تظن من الكلب سوى الجبن،

كيف حاله الآن؟

ثابت صامت كما لو أنّه لم يكن،

أصبحت الكلمات التي ينطقها أروان مكبلةً بالدموعِ

والخوف صدمة المنتظر فلم تعد الكلمات تقدر على الخروج،

فبقيت في مرقدها محبوسة إلى أن يُخلى سبيلها،

قلت لك كيف حاله؟

يجمع ثابت أصابعه إلى بعضها مشبكاً إياها في سماحة الكلمة المرجية من أروان،

ما الذي سيسمعه من حكمته،

الحديث وإن ارتجاه امرؤ بجدية طبعه، فهو خيرٌ و رضا،

وليس سقيماً مُقضى خيره،
لن أقوى على الكلام، قال أروان
ما في الانتظار شيء غامض،
يضرب أروان يده على درجة السلم
رأسه محني،
عيناه جاهرتان،
صرامة الأسى تنسج بينهما شرور الانتقام،
قلت لك كيف حاله؟
أخبرني أرجوك،
وقف أروان، وقد جمع إلى ضعفه الذي أصابه من جراء ما تم حدوثه لهما،
حسن صمته وقبوله، ورفعَ من قوة بأسه ليروي ما يريد النطق به،
أعانك الله يا أخي فقد خرج أبوك من هذه الدار،
– خرج؟؟!
أبي؟
هل..؟
يقترب ثابت من أروان يتلمس بيده شعره ورجفات رأسه المقيدة باقتراب الأجل وحزن المفارقة، وفقد الألفة والتواصل،
– لا تحزن يا أروان فليس من الموت خوف فهو حقٌ لكل من خاف الموت
استدار أروان نحو ثابت،
أمسكه من كتفيه،
– مات؟!
هل مات؟!
أغمض ثابت عينيه، وحنا رأسه إلى الأسفل،
– أجل،

– ماذا؟؟!

– أجل؟!

(يتركه أروان)

وهل هذه كلمةٌ بسيطة؟

– كيف لا أحزن؟

يأخذ الموت من يشاء، ويبقي من يشاء،

هذا قضاء الموت،

تلك السماء،

مؤيّد الهائم في قروح الأيام

تبعث الموت،

تخرج البشر أجداثهم، وهم قتلى،

من عبارات المسير، وذبائح سيوف العابرين

قرابين المآتم،

ضحايا المسافرين،

قضاء الموت، وأي رقيب هو على الناس، لا يغفل عن أحد

يغلق أروان قبضتي يديه،

ماء قدسي ينزل من مآقي عينيه،

لم تعد النفس تحتمل صبراً

فالألم إن لم يبكِ، أراع صاحبه،

– لماذا؟

لماذا الكل يبتعد؟

لماذا؟

من يبقى في هذه الأرض؟

أخبرني،

صوته في أذنيّ، مازال كما هو لم يغب عني،
أراه أمامي يضحك،
أراه أمامي يصرخ،
يتنهّد،
يغضب،
يعلم،
يرفق صبره بدعابة كلماته اللطيفة،
غير أنّه لم يبقَ على حاله حتى تُغيّره، فلم يعد يعمل شيئاً لنفسه، فذُلّ،
احتاج للشفيع،
متى؟ عند ضجعة الموت في وقت أمانته لنفسه
رحل الآن،
دون أن يودّعني
(سار أروان إلى النافذة ونظر إلى السماء، إلى عالم النور)
– أيّها الكون، أيّها النوارنيون،
أيّتها الرحمة،
– يا إله الأرض،
يا واجب الوجود،
أريد أن أراه،
لمرّةٍ واحدة، أريد أن أراه،
الكلاب في هذه الأرض تهرب، والأبرياء فيها تُقتل، حكمتك الصبر،
أريد أن أراه، أريد أن أراه.

نيرامة

ملاك الشمس

لازورد النور

(7)

– تعالي يا نيرامة سآخذك في نزهة المشتاق،
أعطني يدك،
ساعدت نيرامة جدها على النهوض،
حيث يريد أن يذهب، مشيئته، الشقوق والبروج،
ورؤية ما وجد فيها من خير السموات والأرض،
ينهض الجد ويشير بإصبعه إلى الجبال وشقوقها الصخرية،
المنحدرة من أقاصي القمم
انظري في رحال ذاك الملأ، يا صغيرتي إلى تلك الهياكل،
ماذا ترين فيها؟ – أرى فيها ما لم تره عين إنسان يا جدي،
أرى فيها بروج الصخر
أرى منازلها، وانسدال الماء في شقوقها
المتآكلة من حدة الانهمار، وانصباب الماء في رقعة الفلك
سآخذك إلى هناك يا نيرامتي حيث تلك البروج،
المسمّاة (طوارق القمر)
– طوارق القمر؟؟! تحادث نيرامة نفسها،
ماذا تعني؟
هل لتلك البروج صلةً بالواقع؟
هل لها صلة بالبروق؟
هل زارها مشتاق من قبل؟
بانت معالم الأرض، وشرودها في ظلمة البشر صوراً
في نفس نيرامة،
وجهدت في ترك سيرة الانطباع، والانبساط، والبذل،
حيرةً تملأ وجهها،
يشعر الجد بابتعاد نيرامة عنه،

ما بكِ يا نيرامة؟
لِمَ سميّت تلك البروج (طوارق القمر) يا جدي،
طوارق القمر،
يتأمّل الجد البروج وشلالاتها المندفعة من شقوق الصخر،
يتأمل غرابتها وكيفية تشكّلها بهذه الصورة،
القمر في شرف سطوعه وسط اسوداد الليل،
بين اللوامع السماوية،
تنعكس صورته على بروج الصخر على شلالات الماء
المنسابة باعتصام البشر والخير،
تحمل في تبلورها المتبرهج، وأشكالها المزخرفة بين صفحات الصخر المتكلّسة بجمر الماء الأبيض،
صوراً للقمر، والتماعه في شرف النجوم
كل جمرةٍ ترسم له فيها صورةً مختلفةً عن الأخرى
تنحني نيرامة على الأرض لتخرج من التراب حفنة تضعها في يدها
انظر يا جدي،
تراب؟
– أجل يا بنيتي تراب،
هات يدك،
يمدّ الجد، يده إلى نيرامة لتخلي فيها التراب الذي حملته يدها من الأرض
– نيرامتي الحبيبة هذه نعمةٌ أحيطت بالشكر كثيراً، صنائعها وأفعالها أوفدت الخير والرزق إلى الناس فباتت جزءاً منهم، وباتوا جزءاً منها.
– جدّي هل هذا العنصر الذي فيه بدأنا وإليه نعود
لا يا بنيّتي،
هذه المادة التي خُلقنا منها، وإن بطلت الأجساد تعود إليها

أمّا العنصر الذي بدأنا فيه فهو الروح،
فإن خرج الجسد عنها عاد إلى التراب،
وعادت الروح إلى كلّها في السماء،
يترك الجد التراب يذرى من يده ليعود حيث كان موضعه على الأرض،
يُلقي بيده على كتفِ نيرامة
– جدي، هل الصور متناهية؟، لا يا نيرامة ليست متناهية،
لأنّ المادة لا تحتمل صوراً متناهية،
المادّة دائمة، الحركة بسبب العوائل المحيطة بها،
كل ما على الأرض حجارة أو معادنٍ أو آثار أو حيوان
يدعى ذلك بالمادة،
وهذه المادة ليست ثابتة لتحتمل صوراً متناهية،
فإن تناهت الصور تناهت، حيزاً ومكاناً فهي غير متناهية زماناً،
عكوس الصورة، بقاؤنا على هذه الأرض،
وكل ذلك يكون في تصرف الزمان به،
ضحكت نيرامة أخيراً، شاؤها الأرض، أفرحتها الازوردة
بندرة الوجود، ونرجس الابتسام
أحاديثك يا جدي،
جعلتني في نزهة، زرت فيها تلك البروج والشلالات، زرت فيها مكنون علمك،
وكلماتك روت لي ما صنعته عظمة الطبيعة،
وما ستصنعه في مضي الأيام القادمة،
قرّبني إليك،
وامسح بيدك على وجهي، فما بقي عليها سوى
تراب الأرض، فراش الطبيعة، ونعمة الشكر لكل حي فيها،
أنتِ ذواقةٌ للعلوم، تواقةٌ إليها، تُحكمين أصولها تؤيّدين نفسك بالملكوت،

اصطحبيني إلى البيت فهناك سأروي لك ما تحتبسه نفسي من خفايا المغيب طوال هذه السّنون.

كيف مرّت السّنون؟ وقتٌ

دون حسابٍ من أحدٍ له، مرّت سريعاً

فلا أحد يعنيه شأنه فيها حتى يدرك صغار أمورها،

وما ينبغي عليه منها سوى قلةٌ باتوا في سبّق الزمان

قريباً سينقضي الخريف

قريباً سننقضي تحت وطأة اللحظ،

ليس إلى الموت، وإنما إلى حياةٍ أفضل رجاؤها الخير،

واستوحانا ظل الإله،

كلنا في دوائر الزمان،

أنزلت نفسي منزلتها،

حتى أكون كما يريد الله منّا، وله خلقنا، حتى أكون كما تريدني أنت أن أكون،

ما الذي يبعث في نفس الجدّ الحيرة والقلق

ما الذي يثويه حائراً في زوايا الصمت؟

أوراق الزعرور؟

اصفرار اليبوسة؟

الأغصان المتكسرة؟

الجذوع المتبرمة في حبائل الأيام؟

الخوف على نيرامة؟

اقتراب الأجل؟

روح الله رمسك يا نيرامة،

أنتِ وحيدةٌ غريبةٌ،

تسبقين الزمان،

لن يعرف غورك إلاّ الأقلون،
ولن ينال شأوك إلاّ الراسخون.
أنت نفسي يا نيرامة
جوهرٌ منبثق يمد نفسك بنور الهيولى،
بفيض الطبيعة، بشرف الإباء والحكمة،
يُقرّب الجد نيرامة إليه، يسيران معاً، إلى أن يدخلا المنزل،
تستريح نيرامة على كرسيّها الهزّاز المصنوع من أغصان الخيزران المرّ،
تستمتع بالنظر إلى جدها الغارق دائماً في معرفة العلوم،
وبحثه غير المنقطع في التصنيف والإيجاب
يبحث الجد في مطروحاته، وكتبه المركونة على الرفوف،
تحت سقف البيت المسوّد من احتراق الزيت في سراج الفكر،
ساعات الصباح،
لطيفةٌ كلماته، بالغة الإحكام
ذوقية أحاديثه الرفيعة.
يأتي بكتاب مدرجٍ في بيّنات الأسّاطين الأولين،
ذي ورقٍ أصفر مستقلٍ سفن الوفاء لمن خطه وأولاه،
مرت عليه سنواتٌ لم يقرأ، والآن نيرامة تقرأه.
يأخذ كرسياً ويجلس عليه بالقرب من نيرامة المشتاقة،
لمعرفة خفايا المغيب التي حدثها عنها.
أنظري يا نيرامتي هذا الكتاب يدعى (وهج الأمد)
مستضائي، وإمامي، ووليي، وشفيعي،
لما رغبت فيه من دراسةٍ وعلمٍ ومعرفةٍ وحياةٍ شريفةٍ كريمة لي ولكِ، بعيداً عن مستضاء الدنيا، وشرور ساكنيها.
(وهج الأمد)

أيقونةٌ غايةٌ في اللطف،
ما الذي يُشغلك يا نيرامة؟
الزمان؟؟!
كلمة ترغمني على التفكير فيها،
هناك من هم فقراء، ولكنهم علماء،
وهناك من هم فقراء، ولكنهم جهلاء،
وهناك من هم أغنياء، ولكنهم علماء،
وهناك من هم أغنياء، ولكنهم جهلاء،
كل ذلك،
الفقر هو نعمةٌ أو نقمةٌ،
صفوٌ أو كدرٌ،
فرحة أو ترحة،
تواصلٌ أو انقطاع،
أجبني.
نيرامتي الفقر والجوع والسهر، ساق الصديقين إلى فواصل الدرجات
كما ستبلغين أنت ما أراه لك،
الزمان لا يُؤمَن، وإن أمنه أي شخص فقد حصره برأيه
فلم يتصرّف معه،
تأخذ نيرامة الكتاب من جدها مقاطعةً إياه،
تتلمس غلافه المهترئ المعرق بما رسمته يد الفنان،
وذلك بأن يملك نفساً قوية،
يقدر بها على اتخاذ ما يريد، دون خوفٍ أو شعورٍ بالهزيمة،
كما قدرت أن تقرأ، وهج الأمد، بتواصلٍ وصبرٍ من غير انشغالٍ أو انقطاع
يداعب الجد شعر نيرامة يقبل يديها ورأسها، يحتضنها إلى نفسه، روح الوليد،

– وهج الأمد؟

أنتِ نيرامة،

أنتِ،

تملكين نفساً قويّة

تنقطعين إلى رأيك،

تؤمنين به،

تصدقين نفسك،

ولا يكون إلا صواباً، وحكماً فاعلاً للحق،

لا تحتاجين البحث،

طبع مشورتك هبة الرأي، تدركين علله،

تعرفين غايته في مبدئه،

واعلمي يا بنيتي،

أنّ للزمان حاشية عادلة وأخرى جائرة

فأيُّ إنسانٍ أحسن تقويم نفسه،

وجمع إلى حسن صورته، حسن خلقه، قلّ حزنه

وأكملت بذلك فضائله،

وأمن الزمان، وشرَ حاشيته الجائرة،

تفتح نيرامة الكتاب فترى إشراق الصفحة الأولى

(وهج الأمد)

أطلّت روضة الأفراح،

سكينة الأمل،

خيوط التقديس،

يقظان الأنام،

الكواكب النورية،

سرادقات العليين،
أنوار المقربين،
من عين نيرامة مكاشفةً من الكتاب
ماذا حوت صفحاته، علمٌ وزيجٌ، وقدرةٌ وهيئةٌ وفلك،
ائتلقت عينا نيرامة،
شعر الجد بنيرامة، شعر بألقِ عينيها،
فهو موقنٌ في قرارة نفسه أنّ نيرامة ليست له،
موقنٌ أنّ نيرامة ستصبح عالمةً، قديسةً،
لِمَا تحمل وتحفظ وتصون،
فهي ليست له، هي للعليين، وهذا ما يجعله في حالةٍ انفرادٍ دائمة، يحفظها بدعواته، ولطائف كلماته، ونورانية عينيه القائمة على إشهاد العقل في صدق اللسان،
وأمّا من كان على خلاف ذلك يا جدي؟ الشارد في عالمٍ لا يعرفه
سوى واجده،
يضحك الجد،
أجل يا بنيتي،
لا شكّ أنّه سيقع في ظروف الزمان به كرمال الصحراء،
إن ألحّت عليها الرياح بعثرتها، ونقلتها من موضعٍ لآخر
تغلق نيرامة الكتاب تضعه بيديها
سأقرأ هذا الكتاب، هو خير أنيس، إن لم يبلغك أعانك،
هذه الدنيا،
من سره الزمان في حالٍ من أحوالها،
ساءه في أخرى،
أجل يا نيرامة، إنّ الزمان يحب من يتصرف معه،
يقوم بتغييره، تبديل أحواله كما سنرى الآن في تتمة، ما سأرويه لك.

نيرامة

ملاك الشمس

لازورد النور

(8)

قدمت مريام،
رحلتها، وعناء السفر،
أوفدا إلى نفسها الشوق للقاء أروان الذي أحبت،
لم تستطع أن تريح نفسها من خوف الأيام الآتية،
فأسكنت عماد نفسها،
ائتلاف روحها، الحب، منزلة الصمت والصبر، إلى أن خرجت من هذه الدار،
باحثة آملةً علّها تَقدر على فعل شيءٍ ترتجي به السلامة من شر ما تخافه
الأيام والدنيا، إنّما هما كدار النازل فيها غير معرىً عن مصائبها،
وعلى كل حال إن أراد أن يستعيدها فليس له غنى عن الصبر،
به يعان على كل عمل، وبه يغنم كل طريق،
تطرق على الباب، طرقاتٍ متتابعة،
لا أحد يجيب، تدفع الباب قليلاً فتجده مفتوحاً،
المدفأة أيام الشتاء،
عقد اللازورد،
عيني أروان،
ذكريات أيقظت الدفء في قلب مريام
تدخل البيت،
ترمقه بنظرة اشتياق حزينة،
تسير إلى الطّاولة، عنق الجرة المكسور،
مرّ زمانٌ طويلٌ،
اختفت فيه الأيام بسرعة،
المكان لم يتغيّر،
كل ما فيه على حاله،

حتى الباب يبقى في الأغلب مفتوحاً،
المدفأة، بقايا الرماد، غطاء الصوف، منزل النعمة
أين أروان؟
تصرخ،
أروان أروان
لا صوت يجيب
أسيت همسات الليل لتواصل الحبيبين، إن لم يبوحا بحديث القلب، فمرّر الهوى راصداً ما بعد الرحيل في البيت المهجور، وما أتم فيه يهيم قلب الآتي في رحابه،
تصرخ مريام مرةً أخرى،
هل من أحد هنا؟
هل من أحد يجيب؟
ألمّت الحرقة والغصة قلب مريام،
أين أروان؟
أين هو؟
مشت قليلاً، تلمّست السلم الخشبي، لحظات صمتٍ تمرّ، جلست على الأرض، واضعةً يدها على درجة السلم الأخيرة،
تحادث نفسها،
أين ذهبوا جميعاً؟
أين هم؟
ما هذا السكون؟
الرهبة تعمُّ المكان،
تُرى ما حال الأب؟
ما حال ثابت؟ هل مازال محباً للنوم كعادته؟

تصرخ مريام مرةً أخرى،
أليس من أحد يجيب؟
هُجِر البيت،
أليس من كائن فيه؟
اصفح عني يا أروان أنا التي غادرتك دون أن أعلمك، اصفح عني،
مريام هادئة، أغمضت عينيها، منتظرةً حدوث أمرٍ ما،
يكسر أشواك الرهبة والخوف
صوتٌ يسمع،
خطوات تسير،
تحني مريام رأسها على السلم، مصغية إلى صوت
الخطوات،
الخطوات تقترب،
إنها داخل البيت،
باتت أمامي،
ترى من يكون؟
ألست أنت؟
تفتح مريام عينيها، ترفع رأسها ببطء، لتعرف من أمامها،
زائرٌ أم أروان؟
مريام، أنتِ مريام؟
تجيبه مريام
– أنت ثابت؟
أجل أنا هو،
ابتسمت عينيها، انزاح الحزن عنها أخيراً،

مدَّ ثابت يده إليها،

أعطني يدك،

نهضت مريام،

لم يعد هناك خوفٌ أو رهبة، من ألفتهم نفسها في هذه الدار،

بدأت تلقاهم،

– كيف حالك يا مريام؟

– أين كنت؟

– لم شحوبك هذا؟

أخبريني ما الذي حدث لك طوال هذه المدة؟

تسير مريام إلى النافذة، عينيها إلى الجبال،

هناك أصوات الرعد، بروق الجبال، آهٍ أيّتها الأيام،

هنا على الزجاج قطرات المطر المنسابة،

الساحات،

حبّات اللازورد

زرقتها،

حديث أروان،

الجمر،

اللوامع المتشردة،

أين كل ذلك؟

مرت بي أحداثٌ متعاقبة،

ألمَّ بي الخطر، وأحدق بي الموت في دروبٍ كثيرة،

اجتزت هذه المخاطر،

سرت في هذه الدنيا لا أعرف أحداً، أبحث عن ذاتي؟

عن كل ما يخفاني، أستوضح ما أراه، يرغبون في مشورتي،
ولا أرغب في مشورتهم، أجمع فكري، حديثي في الليل،
أتوق إلى الإله، أمنع نفسي عن الجَوَلان فيما لا يجدي،
أجد النور، نفسي هي من يَؤمنّي
صلتي، بما ليس له صورة،
ربما ليس له نهاية،
بما ليس له غاية سوى الخير من الناس
– غايتك يا مريام؟
غايتي في أن أبقى في أرض الأولياء الصالحين أعنى بغراسهم،
ويعنون بي هم،
أسير على خطاهم،
أستمع إلى أخبارهم
أنتفع بآثارهم،
أسألهم نعمتي الباقية،
أصبر على ما أمرت به،
لنفسي عليّ حق، في أن تحفظ وتعصم من أفكار الشر،
أن أرفق بها دلالة الخير والحرية، أن أهديها وألطف مخاطبتها،
شتمني البعض، السفهاء في كل مكان،
كرهني البعض، المعجبون بآرائهم والمغترّون بأنفسهم كثيرون
حاول إغوائي بعض المعمورين،
منهم من قابلني بالضحك والهزل، ومنهم من أساء في القول،
إلاّ أنّي من ذلك
نزيهةٌ، سيدةٌ حكيمةٌ، فيما أمرت،

وفيما أمرت، حرة النفس، لطيفة، تواضعي لمن يستحقه،
يقظة الرأي،
استراح ثابت على الكرسي، يتأمل الجرة، وكوب الماء إلى جانبها،
لم يخلق شيء في هذه الأرض، إلا ليكمل شيئاً آخر،
وما من شيءٍ كان بصورة الكمال،
تتلمس مريام خدودها، جفون عينيها، عروق جبينها، شعرها المتجعد،
ربما غيَّر الزمان بعض ملامحي،
فبانت معالم وجهي شاحبةً مرهقةً،
قسوة القضاء، الدنيا لا ترحم أبداً، والآخرة رحيمةً بما لا يتصوره أي إنسان، ليتني ملكت وجهي، لجعلته في قباحةٍ لا تدرك،
أظهرت كلمات مريام ضحكةً قصيرة الأمد على وجه ثابت فأحسنت المقام.
– رغم ما تقولينه يا مريام تبدين جميلة،
حتماً أبدو كذلك؟
هل مازال وجهي يحمل الجمال في طبيعته؟
تترك مريام النافذة،
ذاك الكرسي، كنت أجلس عليه دائماً،
– يقرّب ثابت الكرسي إلى الطاولة،
اجلسي يا مريام عليه فانتِ متعبة،
ثابت؟
أجل،
أخبرني أين أروان؟ لم ألتقيه بعد،
قطعت كل هذه المسافات لأراه،
أين هو؟

خرج مسافراً يا مريام
خرج مسافراً باحثاً عنك،
عندما غادرته دون أي خبر يستدل من خلاله عليك،
يمسك ثابت كوب الماء،
اشربي بعضاً من الماء،
خلاصة القراح تروي به ظمأ نفسك، وحدّة عطشك
أجل شكراً لك،
شربت مريام الماء،
أحاطت الكوب بيديها ناظرةً إلى الماء فيه الطمس من أنام العباد،
رغد عيشٍ إن بان قراحة شفاء،
لِمَ أجبتني وأنت مثقلٌ العرجة شاحب العينين،
– فقد أباه يا مريام،
ظروفٌ غامضة أحاقت به،
بات وحيداً،
لم تعد تقوى نفسه
فحدّ من ألمه، وأعتق أثر الموت للموت،
وهمّ بالرحيل،
(تبكي مريام)
هل مات أبوه؟
أجل
تركته وحيداً، رغم علمي بقدسيته العطرة، نور عينيّ
إلى أن جاء يومٌ شعر فيه أنّه إن لم يغادر سيكون مع أبيه في رحاب السماء،
تبكين يا مريام؟ دموعها لا ترتحل عن وجهها، مرارة الأيام،

ترى هل ما زال على قيد الحياة في وطأة هذه الحروب،
التي تزيد الناس بخوفٍ مشؤومٍ، بنارٍ ضروم،
دون إقامةٍ للحق أو حساب،
تنهض مريام عن كرسيها، تسير إلى المدفأة، تحادث ذكرى إن لم تعد (حيت ذاكرها)
أين جمرك الملتهب أيّتها المدفأة؟
أين نارك؟
صحوة الحُر، إن أخطأ أضناه العقاب، ومر الصبر عليه، أين أنا؟
أين حطبك؟ أين شجر اليبوسة؟
جمر الوليد إن لم يدس سموم التراب بعد،
أين تجمهرك أيها الجمر؟
برد الشتاء أعصف الليل، فترمّد العظم في القبر،
أين أكون؟ إن لم تبق قنديلاً أفق به من عصفة الريح،
إن لحّت وأضرمت وأركدتها من غير صفير،
أين أكون؟
أين؟
ترمي ما بقي من ماء الكوب بها،
غبار الرماد، المحترق من شرور الأيام،
ماذا فعلت نفسي، تناثرت كالرماد، وضعت مريام الكوب على حافة المدفأة،
سامحني يا أروان،
سامحني يا نور عينيّ،
حزن ثابت لحال مريام،
كيف بلغت بهم الأيام هذه الحال؟

لم يرَ دموعاً تذرف بهذه الصورة من قبل
هذه لم تعد دموعاً،
وإنّما هي (نيرجة الديمومة)، الحياة الباقية
تمنى أن يعود أروان،
أن يلتقيا،
اقترب منها ألقى بيده على كتفها
أنظري إلي يا مريام،
هذه حياتنا،
هدئي من روعك،
اصبري، سيعود،
أحبّك كثيراً،
تمنّاك زوجةً له،
سيعود،
أشعر بذلك،
امسحي دموعك،
واهدئي
أسأل الله – يا ثابت –
أن يديم له سلامة القدر،
أن يديم له سلامة القدر،
أن ينجيه من فخاخ الآثمين،
أن يُلقي رؤوس من يعاديه بالشر تحت قدميه،
أن يمنه له أبواب الفردوس والرحمة في حياته وفي آخرته،
أن يقيم ذكره في كل الأرض،

أن تذكره السماء والأرض معاً،
أن يجد ما رغب به عظائماً تؤنسه في الحياة،
تؤنسه وحدته وتبلغه أملاً انقضى، ولكنّه سيعود،
أجل سيعود،
ليس لي أحدٌ هنا يا مريام،
ما علمته لم أعلم فيه شيئاً
لم أعرف فيه سوى القليل،
سأغادر، لا هرباً من المواجهة،
وإنّما طلباً للعلم للحياة الكريمة،
لرغبةٍ مني أكتفي بها،
ذلة البقاء، وغفلة الشقي، أكتفي بها
شقة العناء والفقر،
وحرمة المطالبة بمن لا يعنيه شأنه،
والتواصل بصرف الخير، وفعل الشر،
فإنّه لا شرّ يطفأ بالشر،
ولا خيراً يطمئنه الشر،
أحتاج صمت الراعي، وبدء الفقير بذوقيّة الحكمة والكلام،
أحتاج إلى نفسي،
الدنيا تعزّ قوماً عن قومٍ انشغلوا بها،
وتذلّ قوماً عن قومٍ انشغلوا بها،
فلا أحد فيها يحظى بالسّعد،
– بل يحظى يا ثابت وإنّما بعد مرارةٍ، وتجربةٍ قاسية،
سأبحث عنه،

أين؟

سأجده يقيني سيرسم لي طريق وجوده،

تتركه مريام مغادرةً البيت،

يدركها ثابت،

انتظري، انتظري،

لقد سلك طريق الشرق،

سأجده اعتنِ بنفسك، تودّعه مريام، أيقظ الأمل حنين قلبها فاشتاقت الرّحيل بدءاً بلقاء،

لن يطول هذا الأمر،

لا بدّ أن يعودوا،

سألتقيهم،

وإن طال بعادهم،

سألتقيهم،

ربّما في الساحات، حيث وعد الصدّيقين إن غلبهم الموت،

أو ربّما في ساحات السفر،

أو في أزقّةٍ ما؟

أو في كوخٍ مهجور،

أغلقت الشمس عيني ثابت، فرأى بين جفنيه ظل القرية،

همسات الريح والطيور في أذنيه تنبئه باقتراب الرحيل،

أوقده الشمس المتفرّقة، يعانق ثابت القرية بعينييه، يودعها بحديث قلبه،

سأغادرك يا قريتي،

سأغادرك،

دروبك الكثيرة،

أزقتّك الضيقة،
ياسمينك المتسلق،
خزامك البرّي،
انفراد زهورك بين حشائش ربيعك المخضر،
بيت الغريب أنت،
بيت مريام وأروان،
بيت الحرّ إن قدرّ ورع، وإن بغي عليه غفر،
أرض الشمس،
سقية العطشان، قريتي الحبيبة،
سأغادرك، سأغادرك.

نيرامة

ملاك الشمس

لازورد النور

(9)

يفيء الزعرور أوراقه المتساقطة تحت أغصانه،
يفيء نيرامة الغارقة في نُزهة الوهج، وبحثها الدؤوب عما خفي عليها، واشتبه بين عباراته ومقالاته ممن أوجده ، وكتب حروفه،
تقرأ نيرامة الصحف،
صحيفة تلو أخرى،
معاني العبارات،
لوحة الكلمات،
ترسمها رؤيةً، يقظة مخيلتها تصوراً فيما وجودك يا نيرامة،
تغلق نيرامة الكتاب
تتلمس ما كتب على غلافه، ما صيغ بريشة الصّديقين عبارة ترمزه وهج الأمد،
بلاغة الإعجاز وبغية كل مشتاق، تحتضن الكتاب بريح الأثير،
تُلجئ رأسها إلى جذع الزعرور،
أوراقه المتناثرة هنا وهناك،
كيف أينعت بالحياة؟
وكيف باتت في يبوسة الموت؟
اللحاء المتقشر،
الزمان؟
رأفة الطبيعة من فعلت بك ذلك،
رحمتها أودعتك الأرض، وفيها ما أوجب الشكر على كل حي،
في الليل والنهار، بما صرفت عنه من آفاتها، وأعطت من خيرها، جوداً ولذة في الثمر،
تنظر نيرامة إلى الظل،
كيف تراقصه الأغصان حين تميلها الريح من أعلاها

عمر الإنسان مثلك أيها الفيء،
لا حقيقة لك،
تزول من موضع لآخر، بانتقال النور عنك
فإن التمستك في موضعك لم أجدك شيء.
الإنسان هكذا
تراقصه الأيام كما تراقصك حركات الأغصان
شعرت نيرامة بحنان مفعم، زار قلبها،
صور تخلقها ذكريات ماضية تتراءى لها،
ما الذي حدث لي؟
لمن كل هذا الشوق؟
أشعر بالفرح،
وكأنّما أمٌ تداعب وجنتي وليدها الصغير
تغفيه قربها بعد أن تراقصه وترقيه رقية الوجود،
كما راقصت الأغصان الفيء ورقتّه قبل أن يزول،
– أمّي
تراك تأتين من السماء يوماً،
أرى نفسي قربك ،
أغفو بين ذراعيك،
أهيم بقراح وجدك،
ارسم قلبي بين يديك، أضيء الشموع لك،
– ضمّيني يا أمي
– فأنا أشتاقك.
– أين أنت؟
صوت يصيح

نيرامة، نيرامة
نيرامة شاردة الذهن بما تستهويه ذاكرتها،
رؤى الحنين غير المدرك، من أين مسيره إلى قلبها؟
ما سبب حدوثه؟
كلما ذكرت شيئاً فيه صلة بالوصل،
بالبقاء،
بالديمومة،
بالبروج،
بما يرويه جدها لها،
اشتعل قلبها بنار الحنين، تسأل نفسها لأيّ أمر هو شوقها، لا تجد الجواب.
يصل الجد إلى نيرامة، يستريح بقربها، يضمها بيديه، يداعب شعرها،
ما بك يا بنيتي؟ لا تجيبين ندائي،
انتابني الخوف والقلق عليك، فليس لي سواك في هذه الدنيا،
لا تنفردي بنفسك يا نيرامة، رغبتي في بقائك إلى جانبي تفوق رغبتي في الحياة،
اجعلي رأسك على صدري، أغمضي عينيك،
وأخبريني
ما الذي يشغل تفكيرك؟
ماذا قرأت في الكتاب؟
كل هذه السكينة،
ما الذي يشغل تفكيرك؟
ماذا قرأت في الكتاب؟
كل هذه السكينة،
ما الذي يحزنك؟
قولي لي،

– وهج الأمد يا جدي،

– ما به؟

– قرأت عباراته،

قرأت ما أريدك أن تبسطه لي فأقدر على فهمه،

فهو أصعب مما أستطيعه

اقرئي عليَّ ما صعب عليك حتى أجيبك،

سأقرؤها لك دون النظر في صحف الكتاب،

حفظتها؟؟!

محبتي لوهج الأمد أبلغتني ما أريده منه فأيقنت ترتيبها وحفظ كلمات مقالاته سأمليها عليك،

ما جاء في المقالة الأولى:

إنّ كلَّ عبدٍ زهد في الدنيا

أُسكنت العفة والحكمة قلبه،

وأنطق بنفائس لدنها في لسانه،

وما جاء في المقالة الثانية:

إنّ الحكمة والعفة شجرة تنبت في قلب الحي،

وتثمر في لسانه،

وعلينا واجب أن نصونها عن القلوب المتمردة،

وأمر ليس له صلة بوهج الأمد،

ما هو يا نيرامة؟

صور من الماضي تتراءى أمامي،

أرى فيها حديث عهد وليد أمه يتربع في أحضانها،

تراقصه تلاعبه تداعب خديه، ترقيه من سوء الأيام،

كما راقصت أغصان الزعرور الفيء،

ورقتّه الأوراق المتساقطة،
يقبل الجد جبين نيرامة، يرمقها بضحكة تُنسيها مرارة الصبر،
نيرومتي الحبيبة،
بتِّ الآن تعرفين ما خفي عليك، وما اتضح تصنعين له حقيقة يدرك من خلالها،
– ما هو؟
– كيف يكون؟
– إلى أين مصيره؟
– أين انقضاؤه على هذه الأرض؟
ما ذكرته لي إلى الآن، يُقيم الحياة، وهو الجوهر الذي من أجله نعيش،
ومن أجله نبقى
الدنيا تسجن من يحبها فيها فيلقى منها شر عاقبتها،
أما زاهدها ورغم ما فيها من ملذات وأهواء يلتذ الجسم فيها،
يستريح من عنائها، يحبه كل من يراه، وعاقبة محمودة يلقاها،
وكل ذلك يندرج تحت الحياة،
أي الحي،
فالعلم والجود والحكمة والقدرة،
يندرج تحت الحي الذي هو صفة جامعة للكل،
فالحياة دار بلوى،
ومنزل نعمة إن شاء صاحبها ذلك،
فالحكمة خاصة الله،
ومحبتها متصلة بمحبة اللهن
فمن أحبها من الناس سكنت قلبه،
ونطق بها لسانه،
فثمر العلم ليس مثله مذاق في لذة طعمه،

أليس كذلك؟

أجل.

تُقشر نيرامة لحاءً من جذع الزعرور، تجزّئه إلى قطع مختلفة،

قطع اللحاء المتكسرة يا نيرامة أشبه بالقلوب المتمردة،

فلذلك لا ينطق بالحكمة إلاّ عند أهلها ممن يفهمونها، ويحبون تقديس قلوبهم بها

فاللحاء الأخضر غير المتكسر على أمه، جذع متين غير متيبس،

خير لمسه، محي عطره، مثيرٌ يُنوعه إشراقة الطبيعة،

مذل إن أخطأ فيه عبثاً، وإن عدل إنصافه بصمت،

وإن فرح عمَّ خيره، وإن حزن غار شره،

إن استغنى كرم، وإن افتقر حطب،

فهي القلوب العفيفة الحية ذات المنزلة النورية التي ستعلو إليها بعد مفارقتها.

تحمل نيرامة الكتاب تقبله، تأخذ بيد جدها مبشرة إيّاه،

ما حلمته؟ وهج الأمد يا جدي.

هو أمي التي أفتقد،

وهو أنت،

لن أتركك ما حييت

إن هجرت مريام أروان، فمن دافع الخوف مما تحمله لها الأيام المقبلة.

لن أهجرك أنا من دافع الحزن الذي يُلم بي،

فأمّا خوفي هو عليك،

فليس لي إلاّك يا جدي،

خذني بين ذراعيك،

يعانق الجد نيرامة، والأمل حبيس نفسه في أن تصبح كما تريد،

أن تصل إلى ما تصبو إليه،

لندخل البيت يا نيرامة،

فقد شارفت الشمس على المغيب،
يودع الجد ونيرامة شجرة الزعرور إلى يوم جديد يعودان فيه إليها،
جدي،
ما الأمر يا نيرامة؟
هل يلتقي أروان بمريام في رحلة المغيب؟
سنرى مسير القدر بهما إن يجمعهما أو يفرقهما،
نيرامتي،
الإنسان في هذه الدنيا دائماً معذّب، لا يبقى على الحال التي هو فيها،
دائماً في تغيّر، دائم الغصة والحرقة لمفارقة أحبابه فيها،
ولا ينتظر منه سوى:
أجل قريب،
وأمل بعيد،
وحشة الموت، وصديق يرتجيه،
هل كل الناس أصدقاء؟
أجل فكل شخص عند الرجاء صديق.
وصلنا البيت،
تفضل بالدخول.
يدخل الجد ونيرامة البيت، فالنزهة ما زالت طويلة لم يحن انتهاؤها بعد،
تشرب نيرامة كأساً من الماء،
تستريح على كرسيها الهزّاز،
جدي أكمل لي بقية الحكاية؟
وقف الجد أمام النافذة، نظر إلى السماء إلى السحب المتفككة،
راقب انقضاء الشمس خلف الجبال،
الطيور المهاجرة،

حادث الجد نفسه،
اعبري أيّتها الطيور البيضاء،
فلك من شأنكِ حساب رماد وتراب،
وقتك الترقب، والزهادة أنا.
وأنا قادم إليك، الصبر
فإنّ لي منك مراداً
اعبري أيّتها الطيور بيوت العبيد،
امضي في صمت،
لا أحد يراك سواي،
اعبري رمال الصحراء،
أخرجي الأثير من رمد السحاب،
قابضة أنفس الحكماء أنت،
أودعي من ترين،
سلام الجد الحكيم.
تتأمل نيرامة جدها السائر في هداية القلب، السالك في واجب البقاء
فيما شرودك يا جدي؟
أنا، لا شيء يا بنيتي.
وإنّما نظري في الدنيا، أتأمل رحابها،
بريقها المطل من خلف السحاب،
من ساحات الأمد،
من أعين البشر،
من اللاوجود،
تعالي يا نيرامة،
ادخلي في وهج الأمد،

وكوني إلى جانبي،
تقترب نيرامة من جدها،
تُقبل يده،
تضعها حول عنقها،
أنتَ أمي يا جدي،
أنتَ أبي،
أنتَ كناري المغرِّد،
أنتَ طوارق النور،
أنتَ لوامع السماء،
أنت وهج الأمد،
أنت لي،
ربٌّ رحيم يبقيك إلى جانبي،
أحبك يا نيرامة،
أحبك يا نيرامة،
أحبك يا زهرة النرجس،
يا فلّة الصباح لا تحزني
يبكي الجد،
تضرُّعه،
صرخاته،
إلهي، إلهي
وصلت أقاصي النهاية،
عند البروق، عند السرادقات،
عند المائدة، وبروج العليين،
نيرومتي فيروزة الريحان،

الدنيا حكاية، طريق تسير عليه جموع وحشود من الناس،
باحثين عن مراد أو غاية يريدها كل منهم لنفسه،
وعندما يضيق ترين الجموع والحشود،
باتوا قلة،
باتوا شخصين،
لم يعد شيء،
هذه الدنيا،
كانت إلاّ أنَّها لم تكن،
تُغلق نيرامة النافذة،
اجلس يا جدي قليلاً،
فلي عندك أحاديث ترويها لي،
رغبت بذلك الآن، فإن رواياتي لم أبدأها بعد،
أسمعني ما نذرت،
حكمة قولك، ذخري في الميعاد،
(يداعب الجد شعر نيرامة)
طفلتي،
شقوة الندى بين عروق الورد،
ما أوردته الآن،
سأرويه لك،
فهذا ما نذرت.

نيرامة

ملاك الشمس

لازورد النور

(10)

أظلم الليل دروب المسير،
القرية نائمة،
الصمت يُجل شجرها بهيبة الوقار،
أزقتها الناعسة تحت وطأة الأيام،
ذلك الزقاق سبيل الحر إلى منزله المهجور،
ما زال منتظراً؟
فصالح قدومه خيره، خيرٌ لكل أحد.
منتظراً أن تتبدل حال الناس،
فالعدوّ يصبح صديقاً،
والجاهل يصبح عالماً،
والفاجر يصبح برّاً.
منتظراً مريام وأروان وثابت،
أين هم الآن؟
صوت يقترب من الزقاق،
صوت خطا،
أهو رجل من القرية؟
أم عابر؟
أم مسافر ضلّ طريقه؟
فمالت وجهته منزل أروان
بلغ الصوت ساحة الزقاق، فكشف القمر عن سرّ غيبه،
أطلّ الحر أيّها الياسمين،
أيقظ أوراقك الغافية في ظلمة الليل،
أيقظ زهورك المتمردة عليك، لحين الندى في الصباح،
أيقظ المنزل المهجور،

أزل عنه قيود الوحدة والخوف،
أروان قد عاد
يبلغ أروان باب منزله،
أوقف خطاه قليلاً،
رمق البيت بنظرة حزينة، يؤسيه ما لقيه في رحلة مغيبه عن القرية،
يتأمل المكان،
ألق عينيه، مبحر في مُضي الأيام التي أعقبت نفسها فغدت ذكرى الخلود،
يحادث أروان نفسه
أردت المحبة صادقة لنفسي،
رغبتها درباً لي أمضي عليه في لقاء مريام،
لن أكون شجرة يابسة إن سقطت احتطب كل من أراد،
يفكرون في الأمور عند خلوة الليل
هم من أريد،
يصبرون على الحزن والمضرّة، صبر طبيعة لم تهزها ضراوة ساكنها،
عدت إلى هنا،
إليك.
انقضت سنتان،
كيف بتّ الآن؟
هل غيّر الزمان من حالك؟
يَتكئ أروان رأسه على الباب، يتلمس خشبه القديم،
ما زلت صلباً رغم الشقوق التي تحمل، تبقى سيّداً لا تنكسر،
عينيّ مشتاقتان لرؤية البيت،
لرؤية النافذة.
مريام تعيش هنا وإن لم تكن،

فصوتها يحادثني عن الشتاء، عن الطبيعة، عن عقد اللازورد،
فتح باب المنزل، أغمض أروان عينيه، رائحة المكان،
هواء الحنين تعبر به القلوب سكينة الليل،
دخل بخطا بطيئة،
الفجر يؤم الليل، أعمدة النور تأذن باقتراب الصباح.
كيف حالك أيها الكائن في وحدة الغفلة؟
كيف مرت هذه الأيام؟
ما زالت جدرانك صلبة محتملة قسوة الفراق؟
ثوبك جميل،
ارتديته في مغيبي عنك،
ألبستك إيَّاها خيوط العنكبوت
وأعشاشها الملتصقة هنا وهناك،
أراك،
أرى هؤلاء الناس،
أرى نفسي الآن،
أعرف ما لم يعرفوه،
وهم لا يعرفون ما أعرف.
اقترب أروان من المدفأة،
تأمل رمادها، تلمس جدرانها، جلس بالقرب منها،
حرك رمادها بأصابعه، مدفأتي سُكنة الرماد في نار الجمر
غبارك يثير يدي، يلهب في نفسي حرقة الفقد، فليس من يوم مثل آخر.
تذكرين حطبك المشتعل أيام الشتاء.
تذكرين من كان يوقده، ويستدفئ بِحرِّ جمره إلى جانبك،
من كان يحركه إن غدا رماداً ينتظر التراب ليرتمي فيه.

ينهض أروان يتأمل البيت،
جرتي المكسورة ما زالت كما هي،
حتى كوب الماء،
الطاولة، كأنني لم أغب،
يسير أروان إليها، يجلس على الكرسي، يتلمس عنق الجرة المكسور،
ينظر إلى كوب الماء،
ليس من ماء فيه، يحادثه كمحادثة الحكيم للطير
أين ماؤك أيُّها الكوب؟
أين ماؤك يسقي اليتيم؟
أين ماؤك يروي التراب من حرقة العطش؟
أين فيضك على الفقير؟
أين ماؤك يروي ذا النفس الرديئة؟
أين ماؤك يشبع المنصرف في لذة المال والجسد والأحقاد والدناءات؟
أين ماؤك يروي عروق الورد وأغصان الياسمين؟
أين ماؤك يروي أروان؟ فإن التعب أخذ طريقاً إلى قلبه.
أُضني بما يحمل، مرارة الأيام،
آه منها تستوفي ما لها، وتقسو في العقاب على العباد
أرتجي خيراً يأمنني شرها.
أيضاً السلم ما زال كما هو؟
لم يتغير شيء.
يقف أروان يسير إلى السلم، يتلمس درجاته الخشبية،
ما أكثر غبارك
نافذتي الحبيبة،
ماذا أقول؟

خرجت باحثاً عن علة الحياة باحثاً عن نفسي،
باحثاً عن حريتي لقيت الموت، ولم ألق غير ذلك.
وجدت نفسي في معتزلٍ عن هذا العالم،
أتواضع لمن لا يكرِّمني حتى أعيش
أقبل قدح من لا يعرفني وسخط من يعرفني حتى أعيش،
وضاعة القدر،
الضياع،
الكل معجب برأيه
يُتبعونك بتدبيرهم دون رأي غيرهم،
يُفخمون الأمور بحسن ظنهم، ظناً منهم أن ذلك صواباً،
ويتركون مخالفة أمورهم رغم أن في ذلك
غروراً ورداءة وأخطاء يقعون فيها،
كل هذه العلل،
نمضي بها إلى الحياة،
إلى المعترك،
وبعد ذلك إلى الموت،
نحن من نريد، وليس هم من يريدون،
بحثت عنك يا مريام،
لماذا غادرتني؟
عودي إلي،
عودي أرجوك،
اكسري حاجز الظلام،
أكرميني ماء الكوثر، شغفت بك
أرغب بقربك، فُتحت أبواب المعابد،

أحبك يا مريام،
أين ألتقيك؟
أنا حيٌّ ملا
ارسم لي أيُّها القدر،
وصل مريام، لأراها عياناً بهنا
هي رُقيتي،
هي ترياقي،
لم أقف يوماً في بابك، ودعوت
إلاّ وآتاني المفتاح، فنلت به ما أريد،
خزامتي الربيعية، نرجس الزبرجد
عودي،
من أجل أروان، حلم الكآبة لا يريم،
فأنا أريدك عودي، عودي
الوقت يمرّ مرّ السحاب، فكيف يمضي على أروان؟
المرض يقهر الجسد فيجبره على الرقود،
وقد قهر جسده،
فأجبره على الرقود في فراشه،
عارضٌ من حُمّى الطبيعة ألمَّ به،
فغدا الألمُ حبسَ روحه،
وغدا المرض حبس جسده،
أنينه،
أنفاسه،
حديث قلبه مريام
غطاؤه الصوفي، لا يقيه شرّ البرودة الخارجة من جسده،

يسعل لا يسمعه أحد،
وكأنَّه ليس من قرية هنا،
شخص ببصره إلى الأعلى،
إلى السماء، إلى حبات اللازورد الزرقاء، إلى عيون مريام،
أعينيني
أيّتها السماء،
أيُّ أمر أنا فاعله لأرى منك كل ذلك،
أعينيني
أهانت الحمى جسدي،
بتّ على فراشي غير قادر على الحراك،
أطرافي تُحيلها الحمى إلى الانهدام،
أسلمت نفسي إليك،
فليس من دواء أو طبيب أحكي مرضي إليه،
عروقي متيبسة
البرودة بلغت حقوي.
الكل مغادرون،
المنزل،
الشرود،
الأنين،
ربما هو الموت قادم لأخذي،
ولن يخليني من فضله،
أصبر على ما أصابني،
أستهين بما هو قادم،
قلبي يأمل،

أهل الاعتبار ينتظرون،
أسمعهم؟!
يقولون:
الآمال تكذب يا أروان،
إن كانت النفس تلهو، وإن صدقت فهي الاعتبار،
الغريب لم يوضع بين الناس،
أوجد نفسه بردّ اليقين،
زاده الخير،
حليته الصمت،
صدقه نذور،
ونذوره حقائق يبعث الخير بين الناس،
أفرح بك أيّتها الحياة،
أفرح بك أيُّها الموت،
فإنِّي أحيا لأموت،
وأموت لأحيا.
ليهن علي غيري ممن أحاقت بهم مصائب الأيام،
فلم يعد في مقدورهم مداواتها،
وانقضى عندهم الصبر،
فوقعوا أسرى للموت.
ما تراه عينا أروان،
لم يعد واضحاً،
الحمّى تسري في كل جسده،
يحاول النهوض راغباً بالقليل من الماء،
ليس في وسعه فعل ذلك،

جسده،
قدماه، أفقدتهما الحمّى قوة الوجود،
فأورثتهما ضعف القدرة والهزال
يغمض عينيه مسلماً إياهما لنوم قصير،
آملاً بعد أن يصحو زوال الحمّى عنه.
يُطرق الباب طرقات متقطعة،
يُجيب أروان بصوت منخفض متعب،
الباب مفتوح،
ادفعه قليلاً، لا أقوى على النهوض،
ما زال أروان مغمضاً عينيه مسلماً نفسه للحمّى، وعناء المرض،
ما يفكر فيه؟
مريام،
هل سيأتي يوم يراها فيه؟
لمسة الحنين،
توضّع بريقها على رأسه، مما جعل أروان يرى صورة جوهره،
مريام، (يحادث نفسه)
إنّها يدها أشعر بها
نعومة لمستها، تفرح وجهي بالدفء، يقظة الصباح،
ترى من يكون زائري؟
هل أعرفه؟
تراك رحمة الزمان علي،
أم شفقة منه لحالٍ صرتُ إليها.
تراك حلمي أُبشر نفسي بعودته
فإن لي بعضاً من القدرة،

أتركها لحين غفلتي ذخراً لي
لن تأسرني الحمّى بعقرها، وإن أوفدت جسدي ضجعة الموت،
سأبقى،
لن أرحل،
هناك من يريدونني
الأنين،
الهذيان،
أروان، أروان؟
افتح عينيك،
انظر إلي،
لا ترحل
هل نسيت مريام؟
ألا تذكر صوتها،
تمسح مريام بيدها على رأس أروان مزيلة العرق عن وجهه وعينيه،
أروان؟
لا ترتجف،
أليس من طبيب في القرية؟
اصبر،
المدفأة سأوقد لك نارها، علّها تُدخل بعض الدفء إلى أوصالك،
أسطر الشرّ ستزول،
دواؤها الصبر،
علّتها الإنسان، وفيها لذة الأيام.
الرهبة عمّت المنزل.
أوقدت مريام نار المدفأة،

وخرجت تاركة أروان، تبحث له عن طبيب،
تسير في أزقة القرية، تطرق أبواب البيوت.
هل من طبيب هنا؟
لكن دون جدوى.
ما هذه القرية؟ التقت رجلاً في الطريق
عمت مساء يا سيدي،
عمت مساء يا بنيّتي.
أليس من طبيب هنا يا سيدي؟
بلى يا بنيتي هناك طبيب.
أين؟
خذني إليه أرجوك يا سيدي،
لا تبكي يا بنيتي، أنا هو.
أشكر السماء على ذلك.
تعال معي يا سيدي، تمسكه مريام من يده تشده بقوة
اهدئي بنيتي، إلى أين؟
أروان مريض، وحده في المنزل.
الحمّى لا تفارقه، أخشى عليه من الموت، أرجوك يا سيدي،
– حسناً، خذيني إليه.
عادت مريام ومعها الطبيب،
دخلا المنزل،
المدفأة أُطفئت نارها،
جلس الطبيب بالقرب من أروان
أجرى ما قدر عليه لمعرفة الأسباب التي دفعت بالحمّى إلى الظهور.
مسح الطبيب ماء الحمى عن وجه أروان

توقف وسار قليلاً إلى المدفأة

– منذ متى وهو على هذه الحال؟

لم أستطع له شيء،

لقد دخلت فوجدته هكذا،

عانى من الوحدة كثيراً.

سببت له الضيق في نفسه،

غادرته أيام الشتاء دون أن أُعلمه بذلك.

أيقنت شرّ ما فعلت بعد غيابي عنه،

استراح الطبيب إلى جانب المدفأة،

متأملاً النار فيها بعد أن أوقدتها مريام حين رأتها خامدة،

لا تقلقي سيشفى،

دواؤه الآن عشبة الجلجيلة

الجلجيلة؟؟!

أين أجدها،

انتظريني، سآتي بها لا تقلقي عليه إنّه بخير،

غادر الطبيب لإحضار العشبة،

أمّا مريام فقد أتت بغطاء آخر ودثّرت به أروان،

غطاء من نفسها فهي تضمّه بيديها إلى قلبها المرتعش خوفاً عليه من الحمّى

آنينه يملأ المنزل،

تأخّرت أيُّها الطبيب.

فُتح الباب أخيراً...

تأخّرت يا سيدي، الحمّى لا تفارقه، أخشى عليه منها.

لا بأس.

خذي هذه العشبة، اغليها بالماء حتى تنضج فتصبح كالثفل

أطعميه منها في ساعات الصباح الباكر، وفي الليل
أمسكت مريام العشبة، ذاقت طعمها.
طعمها لاذع مرّ
هل سيشفى بها؟
اطمئني.
أعراض هذه الحمى تظهر من النفس، إن لم تعد تطيق صبراً على ما هي فيه
دواؤها بأمرين،
عشبة الجليلة والشخص الذي ترغب النفس برؤيته،
فإن لم يكونا، أغلب المرض هذا الشخص، فأدركه الموت،
اعتني به جيداً،
سآتي غداً للاطمئنان عليه،
عمتِ مساءً،
شكراً لك أيُّها الطبيب
لتحفظك السماء برحمتها،
ودعت مريام الطبيب،
أوصدت الباب خلفه،
زادت المدفأة حطباً،
غلت العشبة في الماء،
تناولتها في يدها عشبة منغمسة في صيرانها،
استراحت إلى جانب أروان،
رفعت رأسه،
أطعمته منها داعيةً له بالشفاء،
كل يا أروان،
افتح فمك،

سينقذك الله،
عُد إلي،
مريام تحبّك،
عُد إليها
أضئ نفسها بنورانيتك،
أحيي قلبها بعطرك،
اروِ بحديثك، كلماتك الطيبة ما زالت في أذنيّ
كلماتك الطيبة ما زالت في مسمعي
لم تفارقني يوماً،
سأعتني بك،
لن أغادرك مرةً أخرى
لن أغادرك.
غفت مريام، مُلقيةً برأسها قرب،
الدواء في يدها،
مرارة طعمه لم يشعر بها أروان،
سكينة الليل،
(يهذي)
مريام،
أمي،
أين؟
لا ترحلوا،
أفاق هذيانه مريام، غفوتها قصيرة، ليس في المرض ما يرحم،
داعبت شعره،
قبّلت يديه، حادثته بلطف راجيةً شفاؤه مما هو فيه

نَمْ يا أروان، نَمْ،
الحياة قاسية،
سنعيشها معاً،
إن تعقبنا مرارتها؟! نذيقها الجَلد والصبر
وإن أعقبتنا خيرها، أوفيناها صنيعها بالشكر،
نعمل فيها ما يبعث على الجميل
نبني أعمدة قصورنا
بالصدق والشكر وإدامة الوفاء،
والفضل
نبقى فيها معاً، ونفنى فيها معاً
تحرّكت يد أروان على الغطاء الصوفي مجهدةً من تحمّل الألم
تنازع إلى البقاء في أن تحيا وتعيش،
الشمس تلقى الأرض يوماً إثر يوم،
والزهر يلقى الثمر، إن غدا بذوراً، رُويت يبوسته فأضحت الأيام بشر،
والطبيعة تلقى الفصول فيض خير فقبل الصفح،
هناك من يستحقّون أن نبقى من أجلهم، وأن نعيش لهم،
ونعتني بهم، ويعتنون بنا،
لامست يده وجه مريام
عينيها المغمضتين،
شعرها المتجعد،
جمعت حينها كلمات الرُقية،
رُقية الوصل عند اللقاء،
شق النور زجاج النافذة،
الخوف يمضي، عبر النور إلى السواد،

الأمل والحلم والقدر يرتجون في كل يوم،
القرية ما زالت نائمة،
غريبون هم ساكنوها
كأنّه ليس من أحدٍ يقطنها،
موسم الحصاد،
الحقول؟ قرى شقوق التراب فيها، أي كلمةٍ تنطق؟
هل ستنبئ أن الزمان في السنين القادمة سيخبر عن حسن مغيبه،
عصفور السراج،
ماذا يفعل يزقزق، ينقر النافذة، يُبارك صحوة أروان،
انقضت الحُمّى،
زال شرها،
في حين قدم الفجر،
نهض بهدوء، عيناه تبصران لطف القدر عليه،
مريام نائمة بجانبه، آثار الدموع تستدير حول جفنيها كالكحل،
نظرة المشتاق،
ما زالت أصابع يده بين خصل شعرها،
أين أنتِ من عينيّ يا مريام؟
تلمّس وجنتيها،
مُحيّاك حزين،
غاليتي الحبيبة.
يوقظها أروان
صوته خافت ملوّن بأمان الوعد،
مريام،
مريام،

يضع يده الأخرى على وجهها،
شعرت مريام بدفء ملمسه على وجهها، فتحت عينيها
لترى ألق عينيه،
أمل قلبها،
نرجس بقائها،
صوت الهائم في قروح مريام، عاد السراج إلى الوهج،
أعبُدك يا أروان،
غاليتي الحبيبة،
ماء الديمومة،
خلود الفاضلين،
لا تبكي مريام،
تعالي إلي،
مريام،
فجّر الشوق حنين قلبها،
لُقا أروان
الشكر لك أيّتها السماء
الشكر لك.
ضمّها أروان بكلتا يديه إلى صدره،
قبّل يديها ورأسها،
عانق شعرها الأسود،
حُرقة الأيام،
صبر الفراق،
كيف يكون اللقاء بعدهما؟
أين كنت يا مريام؟ بحثتُ عنكِ طويلاً،

مريام،
كيف لي أن ألقاك؟
أياماً مريرة،
أضنيت نفسي بها
عشت في وحدتي،
هذه الأرض،
هذه الدنيا،
ليس إلا الذهول عمّا أنا فيه،
أنظر في عينيك، أتلمس وجهك الحزين
قسوة الحياة والعناء تحجبه عن صفوة النهار،
لِمَ كل هذا يا مريام؟
لا تتركيني مرة أخرى،
أرغبك زوجةً لي،
وأنا أيضاً يا أروان،
سامحني أرجوك،
ابقي بقربي لن أتركك مرةً أخرى
طُرق الباب،
جعلت الطرقات أروان يضحك،
هناك زائر،
تجيب مريام،
إنّه الطبيب أتى ليطمئن عليك،
عجّلت مريام بفتح الباب
أُسعدتِ صباحاً يا بنيتي،
أُسعدتَ صباحاً يا سيدي،

تفضّل بالدّخول
بوركنا بقدومك،
كيف أصبح اليوم؟
لقد انقضت عنه الحمى
عاد وجهه إلى صفوته،
نهضَ أروان من رقاده، لكن قسوة الألم أربكت ساقيه عن الوقوف
أمسكت بيده مريام، صافح الطبيب
أهلاً بك يا سيدي
تفضل بالجلوس
استراح الطبيب على الكرسي ألقى بيديه على الطاولة
حادث أروان،
جسدك ونفسك يا بنيّ أعز ما تملك،
فاحرص عليهما واحفظهما من الشر،
فإنّ الغفلة مع طول الصحة غرور،
هذا البدن عنصرٌ معقد التركيب، فإن أخلّ بجزءٍ من هذا التركيب
أعقب البدن بالسقم،
فكن حريصاً،
شكراً لك يا سيدي
لا تشكرني أنا بل أشكر عشبة الجلجيلة هي مَنْ قامت بشفائك،
عشبة الجلجيلة؟؟!
هي دواؤك،
وأنا يا سيدي
أنت كل شيء يا بنيّتي، ارعيه واحرصي عليه،
وضعت مريام يديها على عنق أروان قبلته من رأسه،

زواجنا قريب،
أعلم ذلك،
ليباركما الله،
ائذنا لي، أودّ الانصراف،
إلى أين؟
هناك ما يشغلني يا بنيتي،
الحرب قريبة،
لا تقلقا،
لنا من يُحامي عنا،
حكمتنا وتقوانا،
فإن أنزلت النفس منزلتها أمنت كل شيءٍ يدهما،
ائذنا لي
وداعاً،
ودع أروان ومريام الطبيب،
آملين في أيامها المقبلة أن تكون خيراً لهما وللقرية كلّها.

نيرامة

ملاك الشمس

لازورد النور

(11)

ما أعجب فعل السياسة الإلهية يا جدّي، فإنه لا يكاد
أن تكون لذة إلا ويتبعها ألم، ولا ألم إلا تبعه لذةٌ،
والضدين في نهاية أمرهما يصبحان قريبين، يصبحان نعمة
حديث نيرامة،
أطرب مسامع الجد،
خلاصة الكلمة الطيبة،
عذوبة الحديث،
القول النفيس،
الذكر الحسن،
الفعل الجليل،
موسيقى الحروف،
صفوة النفس،
أجراس الحكمة،
كالجواهر التي في قاع البحار لا ينالها إلاّ الغواص الحذق.
أجل يا بنيّتي بدوت عالمةً، كاملةً العقل والعفة، واجدةً لا تكتفين
جدّي؟
والصديق ثابت ماذا حل به؟
خرج طالباً للعلم، ولم يعد من سفره،
التقى فتاةً تزوجها في غربته، وبقي معها،
أما أروان ومريام،
عمّت السكينة نفس نيرامة
أيقنت في ذهنها حدوث شيءٍ ما علّه خيرٌ يطرد عنها حبائل الخوف التي نعيشها.
نيرامة،

أجل يا جدي

فيمَ شرودك؟

لا شيء،

أكمل لي ما كنت ترويه،

أروان ومريام

تزوجا يا نيرامة،

رزقا بطفلة صغيرة تؤنسهما في هذه الحياة،

سُميت نيرامة

وهي أنت..، قلب نيرامة يخفق على أجنحة الخوف،

ارتعشت نفسها، فيضٌ ملأ مسامعها بالاضطراب،

أنا؟؟

أجل يا ريحانة العمر. تعالي إلى جدّك،

ارتمت نيرامة بين ذراعي جدها،

هذه حقيقة وجودي عند جدٍ حكيمٍ مثلك. أليس كذلك؟

نيرامة يا بنيّتي

الحروب والشر لن تترك أحداً،

ليلةً سوداء مظلمة،

طرق باب منزلي،

لأرى أروان ومريام يجعلاك في محتضني أمانةً سطا وهجها علي

فيروزةً سماوية، وجنتاها ضياء القمر

أنت يا نيرامة، أمكِ مريام منحتني عقد اللازورد هديةً لك

عندما تكبرين،

عقد اللازورد؟ الآن عرفت ماذا يحدث لي كلّما اشتاقت عيناي

جدي أين هما؟

همّا بالرحيل، انتظرتهما، لَمْ يعودا، وها أنت الآن نقاوة الأثير،

أعانك الله، جعلك في أوج الكمال.

تبكي نيرامة،

ابقَ بقربي يا جدي، لا تترك نيرامة، ألبس عنقي عقد اللازورد،

أمي أبي إني أراكما، أنتما جدي

هذه لوحة القدر فكّت رموزها، أدركت منها ما أنا عليه

أحبك يا جدي،

نيرامة ها أنت بين يدي، جوريةٌ مدللة، روح سرك بترك ما أثقلت به نفسك، دموعك كريمة، طريقك العلي، كل يومٍ آتٍ بمشاغله، وأنتِ في كل يوم تزدادين جمالاً وعفّةً، وأنا ليس لي من نفسي سواك

لازورد النور نيرامة،

ومن هنا بدأت رواية نيرامة، وعناؤها في أرض الحياة،

فإن لم ترغب المشورة، شاءت أن تخط ريشة قلمها

رغبتها في صنع الحلم، وإثمار الحقيقة بنور البيان،

مهيبة المنطق، محبةً للناس، ترغب الخير لكل من تراه عينها،

بدء زمانها اليوم، هي ذي نيرامة، لازورد السماء.

الفهرس

بدء السطور 9

نمط الرواية 10

التعريف بالرّاوي وحفيدته نيرامة 11

نيرامة ملاك الشمس لازورد النور (1)..... 13

نيرامة ملاك الشمس لازورد النور (2)..... 21

نيرامة ملاك الشمس لازورد النور (3)..... 47

نيرامة ملاك الشمس لازورد النور (4)..... 55

نيرامة ملاك الشمس لازورد النور (5)..... 75

نيرامة ملاك الشمس لازورد النور (6)..... 83

نيرامة ملاك الشمس لازورد النور (7)..... 99

نيرامة ملاك الشمس لازورد النور (8)..... ...109

نيرامة ملاك الشمس لازورد النور (9)..... ...123

نيرامة ملاك الشمس لازورد النور (10) ..... .135

نيرامة ملاك الشمس لازورد النور (11) ..... .157

الفهرس 163